

المُحَارَبَاتُ الرَّوحِيَّةُ

يُوفَانُ النَّاسِيكُ

الكتاب الثاني

فريق اللاهوت الدفاعي

المحاضرات الـرحمانيّة

تبرقانی الشاہد

الكتاب الثاني

جسم الأب والابن والروح القدس اله واحد آمين ؟



غبطة أبينا المكرم البابا
بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

فريق اللاهوت الدفاعي

كيف تحارب الأوجاع الجسدية ؟

لأعلم يا أخى أن هناك طريقة مخالفة للمحاربة ضد الأوجاع الجسدية تغاير المحاربات ضد الأوجاع الأخرى . إن أردت أن تسير الأمور في الوضع الصحيح ، هناك أمر يُعمل قبل أن تجرب بهذه الأوجاع ، وأمر آخر يُعمل أثناء التجربة ، وآخر بعد ما تنتهى التجربة .

قبل التجربة ينبغي أن تركز إنتباهك على الأسباب التى تتولد منها عادة هذه الأمور ، والعمل التى تجعلها تقتحم عليك . فالقاعدة هنا هى أن تستخدم كل الوسائل لتجنب جميع المواقف التى ربما تثير الاضطراب فى جسمك ، لاسيما مقابلة أشخاص من الجنس الآخر . فإن اضطرت أن تتحدث مع أحدهم ، فلتكن المحادثة قصيرة ومحتشمة وليعلو وجهك عبوس العفاف ، لتكن كلماتك أخوية ، ولكن تحفظ للمستقبل . لا تصدق (تثق فى) عدوك (سى ١٢ : ١٠) . هكذا يقول الحكيم ابن سيراخ لذلك ، لا تثق فى جسمك ، لأنه كما أن الحديد يصدأ من ذاته ، هكذا طبيعة الجسد الفاسدة تنتج إثارات شريرة للشهوة ولأنه كما أن النحاس (الحديد) يصدأ هكذا يكون خبيثه (سى ١٢ : ١٠) . انى أكرر

مرة أخرى ، لا تثق بنفسك من جهة هذا . حتى إن كنت لم تشعر
لفترة طويلة بوخز جسدك . لأن الحبث المثلث اللينة ، أحياناً
يصل في ساعة واحدة ، أو دقيقة واحدة ما لم يبلغه في سنين .
ودائماً يعمل استعداداته للهجوم في مسكون . فاعلم أنه بمقدار
ما يتظاهر الجسد بأنه صديقك ، ولا يعطى أى علامة لشكك ،
يقدر عظم الضرر الذي يعكسه فيما بعد ، وغالباً ما يضرب
ضربته القاضية .

ينبغي أن يحترس الجميع في اتصالهم مع الجنس الآخر ،
حيث يعتبر الاتصال بهم خيراً في الحياة العادية ، إما لأنهم
أقرباء ، أو لأنهم أئقياء وفضلاء ، أو لأنهم أسدوا إليك معروفاً
واضطر أن تعبر لهم عن مشاعر العرفان بالجميل بقدر ما تستطيع .
عليك أن تخاف من هذا ، لأنه بدون الخوف والانتباه لذاتك
يختلط هذا الاتصال عملياً بالشهوة الحسية الرديئة . فتتسلل إلى
النفس تدرجياً وبلا شعور حتى تصل إلى عمق أعماقها . وهكذا
يظلم العقل حيث إحصابة العدوى ويبدأ في التهاون بأسباب الخطيئة
الخطيرة ، مثل الخلقة الشهوانية أو الكلمات الحلوة من الجهتين ،
أو حركات الإغراء ، وأوضاع الجسد ، وضغط الأيدي .

وهكذا ، أخيراً يقع في ذات الخطيئة وفي شباك الشرير حيث

يصعب جداً - وفي بعض الأحيان يستحيل - أن ينتشل ذاته منها.

لذلك يا أخى إهرب من هذه النار، لأنك بارود، ولا تحرق

أن تفكر في خيالك بأنك بارود وطب مبتل بمياه الإرادة
الصالحة الحازمة . لا ، لا ، أفضل لك أن تفكر إنك جاف

كالجفاف، وسوف تشتعل بالنار بمجرد ملامستك للمب. لا تعتمد

على ثبات عزمك واستعدادك للثبات في نظير أن لا تغضب الله

بالخطيئة . لأنه بافتراض أن هذا العزم يجعلك باروداً وطباً ،

إلا أنه بمداومة الاتصال والجلسات الخاصة ستجف إرادتك

الباردة بنار الجسد تدريجياً ، وسوف لا تلاحظ على الإطلاق

كيف اشتعلت بالحب الجسدى لهذا الحد ، حتى أنك لم تعد تهمل

من الناس ولا تخاف الله ، وسوف لا تعب بالشرف ولا بالحياة

ولا كل عذابات الجحيم حين تتوق لتتيم الخطيئة .

لذلك تجنب بكل الوسائل الممكنة :

١ - الاتصال بالناس الذين يمكن أن يكونوا تجربة لك .

إن كنت تريد باخلاص أن تهرب من أسر الخطيئة .

إن سليمان الحكيم يدعو الإنسان حكماً إن كان يخاف

ويجيد عن أسباب الخطيئة ، ويسمى الإنسان أحقاً إن كان

يهمل تجنبها معتمداً على نفسه بثقة كبيرة .

والحكيم يخشى وبعيد عن الشر ، والجاهل يتصلف ويثق (في الغالة) .
(ام ١٤ : ١٦) . ألم يقل الرسول هذا حينما نصح أهل كورنثوس
أهربوا من الزنى (١ كو ٦ : ١٨) .

ب - إهرب من الكسل والتراخي ، تيقظ وقف عتساً
في كل الأشياء شاكساً إلى أفكارك عن قرب ، مدبراً نشاطك
بحكمة ومرتباً أفعالك حسبما يتطلبه وضعك .

ج - لا تخالف معلميك ومرشديك الروحيين ، بل أطعمهم
برغبة في كل شيء ، منفذاً أوامرهم بسرعة وعن استعداد ، لا سيما
أولئك الذين يقدر أن يعلموك الإلتضاع وينصبونك ضد
إرادتك وأهوائك .

د - لا تسمح لنفسك بحسارة أن تدين قريبك ، لا تدين ،
ولا تحكم على أحد خصوصاً في الخطايا الجسدية بالذات التي
تحدث عنها . إن كان أحدهم قد سقط فيها بوضوح ، فلاحرى
بك أن تظهر الشفقة والعطف عليه ، فلا تحق عليه ولا تسخر
منه ، بل اجعل من عبرته درساً لك في الإلتضاع ، تحقق أنك
أيضاً ضعيف جداً ومتحرك من الخطيئة كريشة في مهب الريح
وقل لنفسك : « هو سقط اليوم ، وغداً أسقط أنا ، ... أعلم
أنك إن كنت بسرعة تلوم الآخرين وتحرقهم فإن الله سيرد لك
فريق اللاهوت الدفاعي

عقاباً مؤلماً فيتركك تسقط في نفس الخطيئة التي تلوم الآخرين عليها «لا تدينوا لكي لا تدينوا» (مت ٧ : ١) . سوف يحكم عليك بنفس العقوبة كي تتعلم منها ماضرة كبريائك .

وهكذا لاتضع كي تجد شفاهاً لشرين : الكبرياء ، والوفى ، وحتى إن كان الله في مراحله قد حماك من السقوط ، وحفظ طهارتك فكرك بلا دنس عليك أن تكف عن ملامة الآخرين إن كنت تلومهم ، وبدلاً من الثقة في نفسك خف بالحرى ولا تغتر في ثباتك الشخصى .

هـ - راقب نفسك بانتباه ، ونبه لذاتك . فإن كنت قد حصلت على هبة من الله أو إن وجدت نفسك في حالة روحية جيدة ، لا تغتر بنفسك واتهم في الحمد الباطل ، ولا توافق على التطورات الباطلة عن نفسك ظاناً أنك شـو ، ومتصوراً أن أعداءك لا يجرؤوا أن يهاجموك ، أو أنك تبغضهم وتحقرهم لدوجة أنك سترفضهم سريعاً إن تجاسروا على الإقتراب منك . بمجرد أن تفكر هكذا ، سوف تسقط بكل سهولة كورقة خريفية من شجرتها . هذا ما ينبغي عمله قبل ما تدهمك الشهوات الجسدية .

في وقت التجربة نفسها أعمل كما يلي :

أسرع لتكتشف السبب الذى حرك الهجوم ، وأدله على

الفور . هذا السبب ربما يكون داخلياً أو خارجياً . الأسباب الخارجية ربما تكون : نظرات غير مرتبة ، كلمات تلام السمع ، روائح تسير الأنف ، سلوك ومحادثات منحلة ، لمس وضغط الألبادى مادياً ، رقصات ... وأمور أخرى . والشفاء من هذه كلها هو : ثوب بسيط متواضع ، عدم النظر أو السمع أو الشم أو القول أو لمس أى شئ ينتج عنه هذا التأثير المخزى . وعلى الخصوص تجنب كل المقابلات مع الجنس الآخر كما قيل من قبل .

الاسباب الداخلية هي من ناحية ترفيهه وراحة البدن حينما يجد الجسد إشباعاً كاملاً لكل أهوائه ، ومن ناحية أخرى الأفكار الحزينة التي تأتي بسبب تذكر الأمور المظورة أو المسموعة أو المختبرة ، أو التي تأتي من الأرواح الشريرة .

فبالنسبة لحياة المتعة والترفيه الحسى ، يمكن تقسيمها بالاصوام والاسهار والنوم الخشن ، وخصوصاً بعد كثير من السجيدات والمطانيات لإرهاق الجسد وبكل الإماتات الاختيارية المتبعة للجسد كما نصح وقرر آباؤنا الحكماء المختبرون .

والشفاء من الأفكار مهما كان مصدرها . ينبغي ممارسة التداريب الروحية الملائمة لحالتك الراهنة والتي تملئها عليك الضرورة الحاضرة . مثل : القراءة في الكتب المقدسة

المفيدة وخصوصاً أقوال الآباء والتي على طرازها وتأملات
تقوية وصلاة .

حينما تبدأ أفكار الخزي في أفتحامك ومهاجمةك صلى هكذا ،
أرفع عقلك تراً إلى المصلوب عنك وأدعوه من عمق قلبك
« يا ربني يسوع ! ، يا يسوعى المذنب ! أسرع إلى معرفتي
ولا تدعني أسقط في يد أعدائي ! » وفي نفس الوقت قبل الصليب
الحي عقلياً (ومادياً أيضاً إن كان قريباً منك) وتفهم أن ربك
قد صلب عليه ، قبل جراحاته وقل له في حب « أيها المجرع
عنى ، بتلك الجراح النقية المقدسة ، لأجرح قلبى الشرير الدنس ،
ولا تتركنى يا ربنى أسىء إليك وأحزنك بنجاستى » .

حينما تتضاعف عليك الأفكار الخزية التى للشهوة الجسدية ،
لا ترد بمقاومة مباشرة ضدها - رغم أن كثيرين ينصحون بهذا -
لا تحاول أن تتصور فى ذهنك نجاسة وخزي هذه الخطايا للشهوة
الجسدية أو تأنيب الضمير الذى سيتبعها ، ولا لإفساد طبيعتك
وفقدان بتوليكتك النقية ، ولا تلوث شرفك والأمور التى على
شاكلتها . أقول لا تحاول أن تفكر فى هذه الأمور . لأن مثل
هذه المقارومات ليست وسائل موثوق فيها للتغلب على التجارب
الجسدية ، بل ربما فقط تقوى الهجمات عليك وأحياناً تقود إلى

سقوطك . لأنه بالرغم من أن ذهنك يبتك الشهوة ويعنفها عقلياً
إلا أنه طالما الفكر موجوداً في موضوعها فهو يدعم شعور
القلب بالميل إليها . فبينما يصب الدهن وأبلا من الإدانات على
هذه الأمور ، يبتهج بها القلب ويرتاح إليها - وذلك يعني سقوطاً
داخلياً .

لا ، الواجب عليك أن تشغل فكرك في الأمور التي تجعل
صور الأمور المخزية تبهت منك . لذلك ، استجمع إنقباهك كلية
منها وأنصرف إلى تلك الموضوعات التي تبت المهابة والوقار في
قلبك ، مثل حياة وآلام ربنا يسوع الذي أخذ جسداً من أجلنا
أو موضوع ساعة الموت الغير معروفة ، أو يوم الدينونة الرهيبة ،
أو ألوان العذاب المختلفة في الجحيم ... الخ .

إن استمر ضغط الأفكار المخزية - كما يحدث غالباً - بالرغم
من هذا . وهاجمتك بتهور وبقوة خاصة . لا تخف ، ولا تتوقف
عن المقاومة كما قلنا ، ولا تحاول أن تهجم مباشرة مبيئاً لنفسك
طبيعة هذه الأفكار المخزية . أحذر من هذا ، ولكن استمر في
توجيه إنقباهك كله للتأثيرات التي تبت الرهبة والوقار في قلبك .
بالطريقة التي أشرنا إليها سابقاً ، دون أن تضجر أو تمل من
الأفكار المخزية ، كما لو كانت ليست فيك . واعلم أنه لا يوجد

وسيلة فعالة لطردها ، أفضل من إهمالها وعدم الأكرات بها .
وبقدر الإستطاعة لجعل تأملاتك مزوجة بهذه الصلاة أو مثلها :
« إقمذني من أعدائي يا خالق ومخلص من أجل آلامك
المجيدة ، ورحمتك التي بلا نهاية » .

إحذر يا أخى أن تتوقف بنظرة عقلك عند هذه النجاسات
الجسدية ، لأن مجرد النظر إليها لا يخلو من خطورة . ولا تفحص
هذه التجارب كي ترى ما إذا كان قد حدث قبول لها فيك أم
لم يقبلها قلبك قط .

رغم أن هذا الفحص قد يظهر مفيداً ، ولكنه في الواقع فخر
الشرير الذي يريد بهذه الطريقة أن يشدك إلى أسفل ، ليلقي بك
في الخوار واليأس أو ليحطك تمكث عند هذه الأفكار أطول
مدة ممكنة وبهذا يسوقك إلى فعل خاطيء من هذا النوع
أو خلافه .

فبدلاً من كل هذه الاستقصاءات الفكرية المتعبة ، أذهب
إعترف بها جميعاً بالتفصيل لأبيك الروحي . وحيثنذ تبقى بلا
إضطراب في القلب والفكر ، غير مضطرب بأى أسئلة بل راضياً
بتدبير أبيك . عليك فقط أن تكشف له كل شيء أتبعك ويتبعك
وكل ما يضيق فكريك وشعورك في هذه التجربة ولا تخفي شيئاً ،

ولا تجعل لسانك مربوطاً بالخزى بل تواضع في ذاتك بإذلال نفسك . لأننا نحتاج إلى الانضاع في كل جهادنا كي نحصل على النصر على كل أعدائنا ، فكم بالأكثر نحتاجه في ساعة محاربات الجسد ؟ لأنه في هذه الحالة غالباً ما تكون التجربة متولدة من كبرياء أو سيمح بها كي تؤدبنا وتبكتنا . لذلك يقول يوحنا الدرجي بأن الذي قد سقط في الزنى أو أى خطيئة أخرى جسدية ، قد سقط من قبل في الكبرياء وقد كان سقوطه في الخطيئة كي يتواضع . أيما سقوط قد حدث فلا بد أن يكون قد سبقه الكبرياء ، لأن الكبرياء يأتي قبل السقوط ، ومرة أخرى يقول « عقاب الكبرياء هو السقوط » .

حينما تنتصر الأفكار وتتوقف التجربة أفعل ما يأتي :
 مهياً اقتنعت أنك الآن متحرر من هجمات الجسد ، ومهماً كدت هذا في نفسك ، فأحرص كل الحرص أن تحفظ عقلك وانتباهك بعيداً عن الأمور ، والأشخاص الذين كانوا سبباً في إثارة التجربة . لا تسمع الميل لرؤيتهم تحت سناور أنهم أفرباؤك أو أنهم مكرسون أو أصحاب فضل . فحذر نفسك بأن هذا الفكر خطيئة ناتجة عن طبيعتنا الرديئة ومستحقة عقاباً ، وهى شبكة من عدونا المكار الشرير الذي يأخذ هذا هيئة ملاك نور كي يلقى بنا في الظلمة التى يتحدث عنها القديس بولس (٢ كور ١١ : ١٤) .

كيف تتغلب على الإهمال والتراخي ؟

لكي تتجنب السقوط في خطيئة التراخي الشريرة ، تلك التي توقف تقدمك نحو الكمال وتسلمك إلى أيدي أعدائك .

عليك أن تهرب من كل أنواع الفضول (محاولة معرفة ما يجري هنا وهناك ، التحول الباطل ، الثروة النازعة ، وحسب الإستهلاعية على كل ما هو مستحدث) كذلك لا تتعلق بأي شيء أرضي .

كذلك تجنب كل الأفعال الاختيارية ، أي عمل كل ما يروق لك لأن هذا أمر خارج كلية عن وضعك كمحارب للمسيح ... يجب أن تجبر نفسك على إتباع إرشادات وأوامر معلميك وآباءك الروحانيين بدقة وبسرعة ، عاملاً كل أمر في وقته وبالطريقة التي رسموها لك .

لا تؤخر أي عمل مفروض عليك القيام به ، لأن التأخير القصير الأول سيقود إلى ثان أكثر طولاً ، والثاني إلى ثالث أطول ... وهكذا . وهكذا تبدأ في العمل متأخراً جداً ، إذ لم يتم في وقته المناسب ، وربما يهمل كلية حيث يكون كسبه .

تثقييل . وحينما تذوق لذة عدم العمل ، تبدأ في تفضيلها عن العمل . وقليلًا قليلًا تترى فيك عادة الفراغ والكسل ، وتصير كوجع (كشهوة) تلزم بارضائه .

ويبلغ بك الأمر انك لا تكلف نفسك أن تفكر بأن هذا التراخي غير لائق وأهيم اللهم إلّا حينما تتمعب من الكسل وتشتاق إلى العمل ، فتنظر إلى ذاتك بخزي لأنك تكتشف كم صرت متراخيًا ، وكم من أعمال ضرورية أهملتها بسبب الفراغ والبطالة . لأنك كنت تعمل بحسب ما يروق لك .

من النادر أن يدرك هذا التراخي في بدايته ... لذلك فهو يتسلل إلى كل شيء ، فلا يكتفى بتسليم الإرادة مبعداً عنها أي محاولة للعمل الروحاني والطاعة ، بل يحقد إلى العقل فيظلمه ، ويمنعه من رؤية حماقات وأباطيل الحسيات المدعمة لهذا الخلل في الإرادة . لأن التراخي يعوق العقل من أن يستحضر للضمير الصوت المعقول الذي له القوة على تحريك الإرادة المتوانية لتكمل العمل الضروري بسرعة وإجتهاد دون تأجيل لوقت آخر . لأنه لا يكفي أن تكمل العمل بسرعة بل ينبغي أن تتم كل شيء في وقته تمامًا ، كما تتطلبه طبيعته . بكل إلتفات وعناية ، كي يكون كاملاً

بقدر الإمكان. إصفي إلى ما كتب : « ملعون من يعمل عمل
الرب برخاوة » (١٠ : ٤٨) .

وأنت الذي تجلب هذه اللعنة على نفسك لأنك كسول ،
ولم تفكر في قيمة واستحقاق العمل المفروض عليك أن تعمله .
حيث أن الفكر سيجبرك أن تفعله في وقته المحدد ، وبجمية
تجعله تطرد كل الأفكار التي تصعبه كافتراح كسلك الذي
يحاول أن يثنيك عنه .

لا يوسوس لك الكسل بأن رفع عقلك ولو مرة واحدة
لله ، أو سجدة عبادة لجلاله ولحمده اسمه ليس لها فائدة ، بل أعلم
أن قيمتها لا نهائية أكثر من كل كنوز العالم ، لأننا في الأوقات
التي نطرد فيها عنا التراخي ونغصب أنفسنا لنقوم بالعمل المفروض
علينا باجتهاد ، فإن ملائكة السماء تعد لنا لمكبل الغلبة المجيد ...
ولكن إن استمرينا في توايينا فإن الله قليلا قليلا يرفع عنا عطايه
التي كان قد منحها إيانا من أجل غيرتنا السابقة في خدمته وأخيراً
سيرفض أولئك المصيرين على توايينهم في ملكوته كما قال في مثل
المدعوين إلى العشاء ، وتكاسلوا عن المجيء ، لأنني أقول لكم أنه
ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يدق عتبة ، (لو ١٤ : ٢٤)
هذا هو جزاء الإهمال . أما المجاهدون الذين يغصبون ذواتهم

بلا إشفاق على النفس في كل عمل صالح ، وأنتك يضاعف الرب
لهم عطاياه المباركة في هذه الحياة ويعد لهم حياة مباركة أبدية
في ملكوته السماوى كما قال : ملكوت السموات ينصب والفاصبون
يختطفونه » (مت ١١: ١٢)

إن أذاك فكر شرير، عارلاً أن يلقىك في التراخى ويعرض
عليك بأن العمل اللازم لك لتبلغ الفضيلة التى تحبها وترغب فيها
طويل جداً وشاق ، وأن أعدائك أقوىاء وكثيرين بينما أنت
ضعيف ووحيد . أو يقترح عليك أن تعمل كثيراً وتتم أعمالاً
عظيمة كي تبلغ هدفك ، فإن اقترح عليك فكر الكسل هذا ،
لا تسمع له ، بل على العكس انظر إلى الموضوع هكذا :

طبعاً لا بد أن تهتغل ، ولكن ليس كثيراً . عليك أن تؤدى
أعمالاً ، ولكنها صغيرة جداً ، ولا تستغرق وقتاً طويلاً . عليك
أن تقابل أعداء ولكن بدلاً من تعددهم سيكون عدواً واحداً (في
اللحظة الحالية) ورغم كونه مستقوياً جداً عليك وأنت وحدك
ولكنك أقوى منه بصورة لا تقارن ما دمت معتمداً دائماً على
معمونة الله متكلاً عليها تماماً . فإن صارت لك وجهة النظر هذه ،
سيبدأ التراخى أن يتراجع عنك ، وبدلاً منه تحل فيك الأفكار
والشاعر الصالحة ، وتملك حمية وغيرة في كل الأشياء ، وتصير
ماسكاً لومام قوى نفسك وجسدك .

لأفعل المثل بالنسبة للصلاة . افرض أن إتمام خدمة مقدسة
 يتطلب ساعة من الصلاة باجتهاد ، وتبدو أمامك أنها ثقيلة .
 حينها تبدأ في هذا العمل ، لا تفكر أن عليك أن تقف لمدة ساعة
 بل تصور أنها ستنتهي فقط في ربع ساعة ، بهذه الطريقة ستنتقي
 ربع ساعة دون شعور ، حينئذ قل لنفسك : فلنقف ربع ساعة
 أخرى ، أنها ليست كثيرة كما ترين ، واعمل نفس الشيء بالنسبة للربع
 ساعة الثالث والرابع . وسوف تنتهي من قانونك في الصلاة دون
 أن تشعر بأي ثقل أو صعوبة . إن كنت أثناء هذا تشعر أنها
 أمر عسير وشاق ، حتى أن هذا الشعور قد تداخل مع الصلاة
 نفسها . توقف عن الصلوات المقررة برهة من الزمان ، وبعد
 فترة استعد مرة أخرى ، ما قد تركته .

لأفعل نفس الشيء بالنسبة للعمل اليدوي ، وواجبات طاعتك .
 أحياناً تظهر واجباتك أنها كثيرة فتضطرب وتميل إلى تركها
 جميعاً . ولكن احذر من التفكير في كميتها ، بدلا من ذلك ،
 ابدأ في الفرض المهم سريعا وأجر نفسك أن تعمله باجتهاد ، كما
 لو لم يكن هناك أي واجبات مفروضة أخرى . هكذا تنجزه بلا
 ضيق حينئذ يعمل نفس الشيء بالنسبة للواجبات الأخرى وسوف
 تنتهي منها جميعاً بهدوء وبلا ضجر أو تشويش .

إسلك هكذا في كل شيء . واعلم أنك إن لم تصغر إلى صوت
 الثعلب ، وإن لم تحاول التغلب على إحساس التشاغل والصعوبة ،
 التي يجلبها لك العدو في الواجبات المفروضة الموضوعه أمامك ،
 فسيمثل لك التراخي بكميتك . حينئذ تشعر بأنك كما لو كنت
 حاملاً جبلاً على كتفك ، ليس فقط حينما تجبر على تأدية واجبات
 ملحة بل حتى حينما تعفى منها ، ستكون مثقلاً ومعذباً بها . مثل
 العبد المربوط في عبودية وليس له أمل في أن يتحرر . حينذاك ،
 حتى في أوقات الراحة ، لا يكون لك راحة ، وستشعر أنك مثقل
 في ذاتك بالعمل حتى وأنت لا تعمل شيئاً .

اعلم أيضاً يا ابني ، أن مرض الكسل والتراخي يتلف
 جسمه ليس فقط الجذور الأولية الصغيرة التي منها تنمو العادات
 الفاضلة ولكن أيضاً الجذور المتعمقة التي تعتبر أساساً لنظام حياة
 البركها . كالود الذي ينخر تدريجياً في جذور الشجرة هكذا
 التراخي إن دأب واستمر بلا شعور يخطط ويهلك المراكز
 الحساسة في الحياة الروحية . وعن طريقه ينشر الشرير شباكه
 وينصب فخاخه (أى التجارب) أمام كل إنسان ، ويولي عناية
 خاصة ، وتلصصاً مأكراً ، لهؤلاء الغيورين على حياتهم الروحية .
 عالماً أن الإنسان الكسول المتواني ، ما أسهل إستسلامه

وسقوطه في الشهوات كما هو مكتوب « نفس الكسلان تشتهي ولا
شيء لها » (١٣ : ٤) .

لذلك إنتهه دائماً ، صلِّ واحرص جيداً على كل أمر صالح
كما يليق بمحارب شجاع نفس المجتهد تسمن (١٣ : ٤) .
لا تجلس بيدن مضمومتين ، تاركاً أمر نسيج ثياب العرس إلى
اللحظة التي فيها تخرج في ثوب التعييد لتقابل العريس الآتي المسيح
ربنا . ذكر نفسك كل يوم أن الآن في أيدينا أما الغد ففي يد الله
وأنه هو الذي أعطاك هذا الصباح ولم يعد أن يعطيك المساء
أيضاً فرفض أن تسمع للشيطان عندما يهمس لك : أعطني الآن
والغد أعطه الله .

لا ، لا . اقض كل ساعات حياتك بالطريقة التي ترضي الله .
وضع في ذهنك أنه بعد الساعة الحالية ربما لا يعطى لك أخرى ،
كما أن عليك أن تقدم حساباً عسيراً عن كل لحظة في الساعة الحالية .

تذكر أن الوقت الذي في يدك ثمين ، وأنت إن أضعته سدى
خستأني الساعة حينما تبحث عنه ولا تجده . واجعل في إعتبارك
اليوم الذي لا تجدك فيه أعمالك الصالحة كلها إن أنت لم تحارب
لتهلك بميرلك وأهواءك الرديئة .

كى أختم تعليمى هذا فى الموضوع سأكرر وصية الرسول
«جاهد الجهاد الحسن (دائماً)» (١١ نى ١٢:٦) . لأن ساعة إجتهد
واحدة كثيراً ما ربحت السماء وساعة تراخى واحدة قد أضاعتها.
أحرص حرصاً عظيماً إن أردت أن تبرهن أمام الله على إيمانك
الوطيد فى خلاصك

† † †

ضبط الحواس وحسن استعمالها

أولئك العطاش إلى البر، عليهم أن يفكروا بعق ، ويعملوا باستمرار على إخضاع حازم وتوجيه صحيح للحواس الخمس الخارجية - النظر ، السمع ، الشم ، الذوق ، واللمس .

إن القلب يميل بطبيعة نحو المسرة ويطلب التهنئة ، وينبغي أن يجدها في التدابير الداخلية حيث أنه يحمل في داخله صورة الله وعليه أن يحتفظ في داخله بذلك الذي خلق على صورته الذي هو ينبوع كل عزاء .

ولكن حينما ابتعدنا عن الله بسبب سقوطنا، وفصلنا ذواتنا عن الله ، فقدنا ثباتنا في أنفسنا أيضاً ، ووقعنا في أسر الجسد وخرجنا عن ذواتنا، وبدأنا نبحث عن اللذات والتعزيات هناك (أى عند الجسد) وصارت حواسنا هي واسطة تلك اللذات بل ومرشدة للنفس ، مما جعل تلك النفس المسكينة خارجة عن ذاتها غير متذوقة لأى لذة إلا ما تختبرها الحواس ... فوجدت لذاتها في الأمور التي تبهج الحواس ، وعاشت في الدائرة الحسية معتبرة إياها أنها الخير الأول لتتأذى بها . وهكذا أنقلب نظام الأمور :

فبدأ القلب يبحث عن اللذات التي من خارج تاركاً اللذة الحقيقية التي من الله في الداخل .

إن الذين سمعوا صوت الله «توبوا ، فتابوا ، ووضعوا أمام أنفسهم أسساً جديدة للحياة بما تضي النظام الاصيل الذي جمعه الله في الإنسان ، أي ، العودة من الخارج إلى الداخل ، ومن الداخل إلى الله ، كي يعيشوا فيه (أي في الله) وبه ، ويعتبرونه غيرهم الاول ، حاملين في أنفسهم (الله) ينبوع كل عزاء . بالرغم من أن الخطوة الاولى هي إعادة بناء هذا النظام برغبة قوية وعزم ثابت ، إلا أنهم لا يلبثون إليها حالا ، لأن الإنسان الذي قد اتخذ هذا التصميم يواجه حـالاً فضائلاً طويلاً لمحو العادات القديمة لتحل عليها عادات أخرى تتفق ونظام الحياة الجديدة . وهنا تبرز الاهمية الكبرى للسيطرة على الحواس الخارجية واستعمالها في وضعها الصحيح .

إن كل حاسة من الحواس لها أمور خاصة بها ومجال معين تعمل فيه ، هذه الأمور إما أن تكون سارة أو غير سارة . النفس تبتهج في الأمور السارة ، وتصبح معتادة عليها ، وترى في داخلها شهوة لها . وبهذه الطريقة تدخل كل حاسة إلى النفس شهوات عديدة وأهواء ، ورباطات أرجاع تختبئ في النفس وتسكن فيها

ولا تظهر إلى الخارج إلا حينما لا يكون هناك سبباً لإجترارها، ولكنها تهب أحياناً بواسطة التفكير في موضوعات تتعلق بهذه الشهوات . أما السبب الرئيسى القوى في إثارتها هو أن تحضر هذه الأشياء مباشرة في مجال الحواس . في هذه الحالة تنفك الشهوة من عقالها حتى في الإنسان الذى صمم على مقاومتها . ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية ، والخطية إذا كملت تنتج موتاً ، (يع : ١ : ١٥) حينئذ تكمل كلمات النبي في ذاك الإنسان « لأن الموت طلع إلى كواثنا » (ارم : ٩ : ١٢) . أى إلى الحواس التى هى كوى (فتحات) النفس للإتصال بالعالم الخارجى .

إن الإنسان الذى يترك الشهوات تدخل إليه، تأثير فيه قتالاً، لا يخلو من خطر السقوط . فعلى الإنسان أن يجعل لذاته قانوناً لا يحيد عنه للسيطرة على الحواس وإستخدامها بالطريقة التى لا تثير شهوات حسية، بل يديرها بحيث تضمحل هذه الشهوات وتجلب فيه مشاعر مضادة لها .

من هذا ترى يا أخى مدى الخطورة التى تقدر الحواس أن تضعك فيها . لذلك إنقبه لنفسك وتعلم كيف تديرها . حاول بكل طريقة أن تمنع حواسك من الجولان هنا وهناك كيفما شاءت . لأن المفروض ليس فقط أن تبعدنا عن الذات بل أن توجهنا نحو

كل ما هو خير ونافع ولازم لحياتك الروحية. إن كانت حواسك إلى الآن تجمع وتضط إلى الملذات الحسية ، فحاول أن تقمعها من الآن فصاعداً وعدمها من هذا الاعوجاج. أضبطها الآن جيداً، وكما أنها قد أسرت من قبل في لذات باطلة وضارة ، عليها الآن أن تتدرب كي تدخل لإنفعالات مفيدة إلى النفس ، وتلد أفكاراً روحية في القلب .

مثل هذه الإنفعالات الصالحة ستجمع النفس إلى الداخل وإذا تحلق بها على رياح التأمل العقلي ، ترتفع بها إلى رؤية الله والسميح لجلاله كما يقول القديس أغسطينوس :

« بقدر وجود مخلوقات كثيرة تقابل الأبرار ، بقدر ما تكون لديهم أفكاراً وتأملات مقدسة ، تثير فيهم محبة الخالق على الرغم من أن هذه المخلوقات ليس لها موهبة النطق أو الكلام .

يمكنك أنت أيضاً أن تتبع الطريقة الآتية :

عندما تأتي أشياء مادية في مجال حواسك ، كأن ترى ، أو تسمع ، أو تشم ، أو تذوق ، أو تلمس ، فأفصل في ذهنك ما هو حسي ومادى في هذه الأشياء وبين ما فيها من الروح الإلهية الخالصة ، واعلم أن ما تحويه هذه الأشياء من إبداع ، ليس من ذاتها ، ولكن كل ما فيها هو من عمل الله . لأن الله يعطي لكل

شيء وجوده وجماله ، بقدرته الغير مرئية ، وهو الذى يكسبها
 جمالا وروعة ويعطيها قوة التأثير على الآخرين ، وبالإجمال إن
 الله هو سبب كل جمال فيها وطبق في فكرك هذا الفصل على كل
 المنظورات الأخرى ، وابتهج في قلبك بأن الله الواحد هو أصل
 وعلّة كل هذه الكمالات العظيمة العجيبة المتنوعة الواضحة في كل
 مخلوقاته - فهو بذاته يحتوى على هذه الكمالات بل إن الجمال الذى
 نراه في خلّاقه ما هو إلا انعكاس ضعيف أو ظلال لـ كمالات
 الله الغير محدودة . درب ذهنك أن يفكر في هذه الأفكار عند
 رؤية أى مخلوق ، كي تترى فيك عادة النفاذ إلى داخل الشيء ،
 إلى جوهره وإلى جماله الغير مرئى المستعان للعقل ، دون الالتفات
 إلى هيئته الخارجية المحسوسة . لأنك إن فعلت هذا سوف لا يبقى
 في ذهنك أو مشاعرك أى أثر للجانب الخارجى للأشياء التى
 تجذبك حسياً . ولا يبقى سوى جوهرها الداخلى ممبهاً للإشراقات
 الروحية في عقلك ومشاعرك ومثيراً فيك التأمل والتسبيح لله .
 فحينما تنظر إلى الأشياء الطبيعية مثل : النهار ، الهواء ، الماء ،
 الزراب ، متفكراً في قوتها وتأثيرها ، ستتملىء بابتهاج روحى
 كبير ، وتدعو للخالق العظيم الذى قد صنعها :

وأما الإله العظيم ، الكثير القوة ، العجيب في أعماله ، إني أفرح

وأسر لأنك أنت وحدك أصل وعلة وجوهرة وقرة وفعل كل مخلوق .

وحينما ننظر نحو السماء متطلعين إلى الأجسام السماوية : الشمس ، والقمر ، والنجوم ، وهي تمكس النور والبهاء الذي منحهم إياه الله فستعبر قائلاً : أيها النور البهي الفائق ، الذي منه يأتي كل نور إلى الوجود المادي وغير المادي ! أيها النور العجيب يا تلاميذ الملائكة ، وبهجتهم وتبريكهم ، الذي في لجته نفوس الشاروبيم في تأمل ودهش بلا توقف ، النور البهي ، الذي تكون أنوارنا الطبيعية بالنسبة له كأعماق مظلمة ! إنني أجدك وأعظمك . أيها النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم ! لمنحني أن أراك دائماً عقلياً ، كي يفرح قلبي بملء الفرح ! .

بنفس الطريقة حينما ننظر إلى الأشجار والأعشاب والزرع متأملين في ذهنك كيف تعيش وتتغذى وتنمو وتتكاثر بحسب جنسها ، وعالمنا أن حيواناتها وكل ما لها لم يأت من ذاتها ولكن من الروح الخالق غير المنظور الذي وهبها الحياة ، حينئذ نصرخ : يا الله مصدر كل الحياة الحقيقية التي منها وبها يحيا الكل ويتغذوا ويتكاثروا ! أنت هو الروح المحي ، أنت هو بهجة قلبي وفرح نفسي .

وأيضاً حينما ترى الحيوانات الأعجمية ، يمكنك أن تهيم
بمقلك في الله الذي وهبها معيشتها والقوة التي بها تتحرك من
مكان لآخر قائلاً : يا مصدر الحركة لسائر الأشياء ، المحرك لكل
شيء ولا يتغير ! كم أبتهج وأفرح بك أيها الساكن ، غير
المتغير فقط .

حينما تنظر إلى ذاتك ، أو إلى بشر آخرين لترى أن الإنسان
وحده قد أعطى مراتب عالية ، لأنه وحده دون المخلوقات
الأخرى التي تدب على الأرض أعطيت له موهبة الفهم والافراز
وأنه هو وحده نقطة الربط والارتقاء من المخلوقات المادية إلى
الغير مادية . حينئذ أيقظ نفسك لتجد وتشكر إلهها وخالقها وقل
: أيها الثالوث الأبدي ، الآب والابن والروح القدس !
فلتباركك نفسي إلى الأبد ! ولأحمدك كثيراً جسداً في كل
الأوقات ، ليس فقط لأنك خلقتني على الأرض ، وجعلتني ملكاً
على كل مخلوقات الأرض ، ومجدت طبيعتي بشبهك وبالفهم والنطق
والحياة ، ولكن فوق كل شيء لأنك أعطيتني إرادة حرة كي
أقدر عن طريق الفضائل أن أشابهك ، وتكون لي بذاتك ،
واقتيك بداخلي وأخرج بك إلى الأبد .

سأنتقل الآن إلى كل حاسة من الحواس الخمس بمفردها :

عندما تنظر إلى الحسن والجمال في المخلوقات ، أفصل في ذهنك بين ما يرى منه وما لا يرى من جوهره الروحاني ، وراجع كل هذا الجمال المرقى إلى عمل الروح الخالق الجميل الغير المرقى الذي هو علة الجمال الخارجى . حينئذ تهلل فرحاً وتقول « أيتها البنايع الغنية السارية من المصدر غير المخلوق ، أيها المطر المحي الآتى من بحر البركات غير المحدود ا كم أبتهج في داخل قلبي ، عندما أتأمل في الجمال غير المنطوق به الذى لخالق - أصل وعلة كل جمال مخلوق ! يا للشفوة الروحية التى تملأنى عندما أفكر في ذهنى في جمال إلهى ، ذاك الذى لا تصفه كلمة ولا يدركه فكره ، لأنه أصل كل جمال » .

ثانياً : السمع

إن سمعت صوتاً شجياً منسجماً ، أو غناء ، إنبتل بفكرك إلى الله وقل « أيها الأكثر عذوبة ربي ، كم أفرح في كمالك غير المحدودة لأن الكل منسجم ومتحول فيك إلى نغم شجى ينعكس من طغيات الملائكة السائمين ومن المخلوقات غير المحصاة هنا على الأرض ، هذه هي السيمفونية الشاملة الكاملة ، وأيضاً « يا ربي متى تأتى ساعتى ، واسمع صريرك بأذان قلبي ، ذلك

الصوت الذي هو أعذب وأشهى من كل الأنغام حين يقول :
سلامي أعطيك - سلام من الأوجاع ! لأن صوتك لطيف كما تقول
العروس في نشيد الأناشيد (نش ٢ : ١٤) .

ثالثاً : الشم

إن أنفق أنك استنشقت بعض الأطياب العطرة ، أو رائحة
ورود إنقل أفكارك من هذا الشدى المادى إلى العبير السرى
الذى للروح القدس وقل : يا أريج أروع زهرة ، أيها العطر الذى
لا يضمحل المسكوب على كل المخلوقات (معطراً لكل شئ) كما يقول
الأناشيد أنا فرجس شاوون موسنة الاودية (نش ٢ : ١) وأيضاً
اسمك دهن (طيب) مهراق (نش ١ : ٣) . يا مصدر كل عبير ،
أيها الفائح بطيبك العطر من كل الاشياء . سواء من أعلى وأنقى
الملائكة ، إلى أدنى المخلوقات ، مفعماً كل الاشياء برائحتك هكذا
حينما اشم اسحق رائحة ابنه يعقوب قال : انظر ، رائحة ابني كرائحة
حقى قد باركه الرب « (تك ٢٧ : ٢٧) .

رابعاً : الذوق

مرة أخرى ، عندما تأكل أو تشرب ، ارفع نفسك إلى
الله الذى يعطى الطعام مذاقاً يلذذاً . وإذا تلذذ بالله وحده قل
: إبتهجى يا نفسى لأن شبعك ولذتك وتعزيتك فى الله وحده .

وعن طريق هذه الأمور المادية تمهين إلىه وتفرحين به وحده
كما قول داود «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مز ٣٤: ٨) تلك
الحقيقة التي إختبرها سليمان فقال «فكرته حلوة للذائق (خلقى)
(نش ٢ : ٣) .

خامساً : اللبس

بنفس الطريقة عندما تحرك يدك لتعمل شيئاً ما ، تذكر أنه
هو العلة الأولى للحركة وأنتك لا شيء سوى آلة حية في يديه ،
وارتفع إليه ذهنياً وقل «يا الله القدوس رب الكل ، كم تبهج نفسي
عندما أفكر أنني بدونك لا أستطيع أن أعمل وأنتك أنت هو
المحرك الأول لكل فعل ، .

هو العامل في الكل

كذلك ، حينما ترى صلاحاً ، أو حكمة ، أو صدقاً أو أى
فضيلة أخرى في بعض الأشخاص ، لفصل بين ما يرى وما لا يرى
وقل لإلهك «أنت يا كنز كل الفضائل الذي لا يفرغ لكم بعظم
فرحى حينما أرى وأعرف أنك أنت مصدر كل صلاح ، وكل
صلاح فينا أت منك أنت وحدك ... يا الله إن صلاحنا بالنسبة
لكم لا نملك الإلهية - بعد كل شيء ! اشكرك يا إلهي لهذا ، ومن
أجل كل صلاح عملته لقربي هذا ... وأذكر هوزى أنا أيضاً

أيها المنعم علينا لأنك تعلم كيف إننى مقصر فى كل فضيلة .
 وبوجه عام ، لا توقف إعجابك وانقباذك على شئ ترى فيه
 حسناً وجاذبية من خلائق الله ، بل إنرك جانباً واعبر بأفكارك
 إلى الله ذاته وقل « يا إلهى ، إن كان خليقتك مملوءة جمالاً وفرحاً
 وبهجة هكذا !! فكم بالحرى يكون ملء جمالك وفرحك وبهجتك
 أنت خالق الكل !!! » .

إن واطبت على ممارسة هذا التدريب يا حبيبى ، ستقدر أن
 تتعلم عن معرفة الله بواسطة حواسك الخمس ، وذلك برفع عقلك
 دائماً من المخلوقات إلى الخالق ، حينئذ سترى فى الوجود علم
 اللاهوت ، وبينما أنت عائش فى هذا العالم الحسى ، سيكون لك
 مشاركة فى معرفة العالم الآنى . لأن الطبيعة والكون كل شئ فى
 العالم ما هى إلا أداة نرى من خلالها المهندس والفنان نفسه (الله)
 الذى لا يرى . لأن الله يملأ أفهامه وكالاته الغير منظورة فى
 المنظورات المادية التى يمكن أن تشاهدها المخلوقات العاقلة . من
 ثم يقول سليمان الحكيم « لأن من جملة المنظورات والبرايا
 (وجمالها) تشهد صانع كونها بطريق القياس (حك ١٣ : ٥)
 ومن ناحية أخرى يختبر بولس الطروبارى أن أموره غير المنظورة
 ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قوته السرمدية ولاهوته
 (رو ١ : ٢٠) .

إن كل خليفة الله موضوعه بحكم في العالم، فمن ناحية ، تنوع
 الخلائق ومن ناحية أخرى قد أعطى للناس المتنوعين قوة فهم
 يتأملون بها الخلائق ويلبسون حكمة لا نهائية في خلقهم ، وفيما
 خلقوا لأجله . وهذا ينمى معرفة وتأمل جوهر (أفنوم) الكلمة
 ذاك الذى كل شيء به كان (يو ١ : ٣) . منذ البدء . وعن طريق
 الأفعال من الطبيعي أن نرى ذاك الذى يعمل وليس علينا سوى
 أن نميز ونعقل ونحكم بفهم ، وإذا يكون لنا الإيمان ، سنرى في
 الخليفة خالقها ...

† † †

الأمور الحسية عينها التي نتحدث عنها ، يمكن ان
نجعل منها وسائل لتوجيه حواسنا وتوجيهها
صحيحا . ان كنا نعبر منها الى التفكير في تجسد
الله الكلمة ، وفي اسرار حياته وآلامه وموته

فيما سبق ، رأينا كيف نرفع عقولنا من الأمور الحسية إلى
التأمل في الله ، والآن نتعلم طريقة أخرى لرفع الذهن من
المحسوسات إلى الإلهيات ، أعني ، عن طريق الآلام الحسية ،
يمكن إرجاعها على تجسد الله الكلمة وأسرار حياته المقدسة
وآلامه وموته .

إن الأمور المحسوسة التي في هذا العالم ، يمكن إستخدامها
للتفكير والتأمل ، إن كان العقل يعبر منها إلى عظمة الله ومجده ،
لأنه السبب الأول لوجودها ولكل شيء فيها - بعد ذلك تتأمل
كيف أن نفس هذا الإله الفائق العظيم الغير محدود في صلاحه ،
علة كل هذه الموجودات ، أراد أن يتأذى لحقارة بشرتنا
ويتواضع ليصير إنسانا ، ليحتمل ويقامى الموت من أجل
الإنسان ساعداً لنفس صنعتها يديه ، أن ترفع يدها عليه وتصلبه .
هكذا ، حينما ترى ، أو تسمع ، أو تلمس ، حراب ، جبال ،

سيط ، أغصان من شوك ، مسامير ، مطارق ... أو مثل
هذه الأشياء فكر في ذنك كيف أن هذه قد استخدمت كأدوات
تعذيب وبك .

عندما ترى أكوأخاً فقيرة ، أو تعيش في مثلها . استحضّر
في ذنك الكوخ والمذود الذي ولد فيه الرب كإنسان .

عندما تبصر المطر ساقطاً ، تذكر قطرات الدم والعرق التي
سقطت من الجسد الإلهي ، من يسوع العذب ، مخضبة أرض
بستان جشيان

عندما تبصر البحر والقوارب عليه ، تذكر كيف مشى إلهك
على المياه ووقف في سفينة يعلم الشعب .

عندما ترى الصخور ، تذكر تلك التي تشققت في لحظة
موت الرب ، ودع الأرض التي تسير عليها تذكرك بالزلزال
الذي حدث أثناء آلام المسيح .

فالتجلبب الشمس إلى ذنك ذكريات الظلمة التي غطتها آنذاك ،
وليدك كرك الماء ، بالماء الممتزج بالدم الذي خرج من جنب الرب
حينما طعنه الجندي بعد موته على الصليب .

عندما تشرب أى مشروب ذكر نفسك بالحل والمرارة
للذان أعطيا الرب كى يشرب على الصليب .

عندما تلبس تذكر أن الكلمة الأزلى لبس جسداً بشرياً ،
كى ما تلبس أنت ألوهيته . وإذا ترى نفسك مستوراً ، ففكر فى
المسيح ربك ، الذى ترك ذاته تتعرى للجلد والصلب من أجلك .
إن استمالك صوت عذب ، حول هذا الشعور إلى خاصك ،
المنسكبة على شفتيه كل عذوبة ونعمة كما يرتل فى الزمور انسكبت
النعمة على شفتيك (مز ٤٥ : ٢) . ومن أجل حلاوة لسانه كان
الشعب يتبعه دائماً ولا يملون من الإنصات إليه كما يقول القديس
لوقا لأن الشعب كله كان متعلقاً به يسمع منه (لو ١٩ : ٤٨) .
عندما تسمع مهمة وصياح جماهير ، تذكر صرخات اليهود
المنكرة خذه ، خذه ، اصلبه (يو ١٩ : ١٥) . الى نفدت إلى
أسماع الرب . عندما ترى وجهاً جميلاً ، تذكر ذاك الذى هو
أبرع جمالاً من بنى البشر (مز ٤٥ : ٢) . ربنا يسوع المسيح ،
الذى صلب حباً فيك محترماً ومردولاً من الناس ، وجل أوجاع
ومختبر الحزن (اش ٥٣ : ٣) .

وكل وقت تدق فيه الساعة ، دعها تنقل إلى ذهنك ذاك
الحزن المتزايد الذى ملأ قلب ربنا يسوع ، حينما كان فى بستان

جسماني ، وكان مضطرباً لإقتراب ساعة آلامه وموته . أو تخيل
أنك تسمع دقات المطرقة التي سمعت حينما كان ربنا يسمر على
الصليب .

وبوجه عام أقول إنه في كل وقت يحدث أمر مؤلم في حياتك
أو حياة الآخرين ضع في ذهنك أن أتعابنا وآلامنا وأحزاننا
تعتبر كالأشياء بالمقارنة مع العذاب المؤلم والجراح الموجهة في
جسد ربنا ونفسه ، حينما نحمل الآلام من أجل خلاصنا .

† † †

كيف تحول الانطباعات الحسية الى دروس نافعة

✚ عندما تبصر أموراً مبهجة للعيون ، ولكنّها من الأرض ، فكر في كونها لا شيء ومجرد تراب ورماد إذا قررت مع جمال السماء وغناها ، تلك التي ستألفها بالتأكيد بعد الموت ، إن كنت قد تركت كل العالم .

✚ عندما تنظر إلى الشمس ، فكر أن نفسك لم تزل أكثر بهاءً وجمالاً منها ، إن كانت مثقلة بالنعمة من الخالق . ولكن إن لم تكن فهي أكثر قتامة وحليكة من الظلمة الخارجية .

✚ عندما تحول نظرك إلى السماء (القبة الزرقاء) ارفع بعين نفسك إلى السماء الأعلى ، وادخل إليها بفكرك . عالماً أنها مكاناً معداً لسكانك إن كانت حياتك مقدسة وبلا خطيئة هنا على الأرض .

✚ عندما تسمع تغريد الطيور على الأشجار في فصل الربيع ، أو تسمع أي نغم شجي ، ارفع فكرك إلى أكثر الانغام عذوبة تلك التي تكون في الفردوس ، وفكر في التساييح التي تدوي في السماء إلى الأبد ، وترازم الملائكة ، وصلى إلى الله ليعطيك

أن تشددو بتساويحه إلى الأبد مشتركاً مع تلك الأرواح
السماوية كما جاء عنهم في سفر الرؤيا وبعد هذا سمعت صوته
عظيماً من جمع كثير في السماء قائلاً هليلويا . اختلاص والمجد
والكرامة والقدرة للرب الهنا (رؤ ١٩ : ١) .

✠ عندما تشعر أنك منجذب إلى الجمال الجسدي ، احضر إلى
ذهنك الفكر بأن هذا المظهر الجذاب يخفي وراءه تنين الجحيم
مستعداً أن يقتلك أو على الأقل أن يجرحك فقل له : أيها
التنين الملعون ، أنت هو الواقف هنا كالص ، مريداً
إبتلاعي ... إن محاولاتك باطلة لأن الله عوني ، حينئذ
ارجع إلى الله وقل لله : مبارك أنت يا إلهي لأنك فضحت لنا
أعداءنا المستترين ولم تسلمنا فريسة لاسنانهم ، (مز ١٢٤ : ٦) .
حينئذ اتجىء إلى جراح ذاك الذي صلب لأجلنا ، واربط
ذهنك مع هذه الجراح ، تفكر في مقدار ما عاناه ربنا في
جسده المقدس ، كي يحرك من الخطيئة ويبتك فيك اشمزازاً
من الشهوات الجسدية ، اذكرك أيضاً بسلاح ماضٍ تطرد
به غواية الجمال المادي أعني ، عند ما تسقط فيه ، أسرع
لتفحص بفكرك عميقاً في ماذا سيصير إليه هذا المخلوق
الجذاب جداً بعد الموت ؟ جيفة عفنة ، ورمة نلتة بمتلثة بالدود .

✚ عندما تكون سائراً في أى مكان ، فكر في كل خطوة تخطوها
إنما تقربك إلى القبر وعندما تشاهد الطيور طائرة في الهواء ،
أو تبصر الأنهار تجري بتيارها سريعاً ، تأمل في حياتك التى
تعبّر طائرة بصورة أسرع ، معجلة نحو نهايتها .

✚ عندما تهب رياح شديدة ، وتتغطى السماء بالسحاب القاتم ،
وعندما تسمع صوت الرعود وترى وهج البروق ، تذكر يوم
الدينونة الرهيب ، وصل إلى الله راجعاً على ركبتيك أو
ساجداً للرب ، كي يعطيك زماناً ونعمة من لدنه كي تعد ذاتك
لوقوف آذاك أمام وجه عظيمته المموبة .

✚ عندما تهاجمك ضيقات مختلفة ، لا تنسى أن تدرب ذهنك
ليستفيد من الأفكار التقوية المصاحبة لهذه الضيقات ، ولكن
قبل كل شيء افعل الآتى : تأمل في إرادة الله خاضعاً الكلي
وتأكد في نفسك أنها خيرك ومن أجل خلاصك حتى أنه
من حكمة الله رجوده المفعم بالحُب ، قد حكم بعدل أن تقاسى
ما تقاسيه الآن وبالمقدار الذى تقاسيه . وهكذا تهمل في الرب
لأنه أوضح لك حبه في مثل هذه الحالات ، وأتاح لك فرصة
لتبرهن على تسليمك لمشيئته برغبة كاملة من كل القلب في كل
شيء يختار أن يرسله لك . قل في قلبك : إن هذه هى إرادة

الله نافذة فيّ ، لأنه في حبه لي قد رتب من قبل الأزمّة ، أنه ينبغي عليّ أن أقاسي هذا الألم ، أو الحزن ، أو الخسارة ، أو الظلم . فليتبارك اسم ربي الجزيل الرحمة .

✚ عندما يأتي إلى ذهنك فكر صالح ، إنسبه إلى الله وتيقن أنه مُرسَل منه ، واعط له حمداً .

✚ عندما تكون منشغلاً في القراءة الروحية في كلمة الله . ضع في ذهنك أن الله حاضر وراء كل كلمة ، واعتبر هذه الكلمات أنفاساً حية خارجة من الشفاعة الإلهية .

✚ عندما ترى الشمس تسود في السماء ، وبدأت الظلمة تزحف لتغطي النور كما يحدث في كسوف الشمس ، تنهد وصلي إلى الله أن لا يهلكك في الظلمة الخارجية .

✚ عندما تشاهد الصليب ، تذكر أنه شعارنا وقوتنا التي لا تغلب في المحاربات الروحية حتى أنك إن حدث عنه ، ستقع في أيدي أعدائك ، ولكنك إن بقيت تحت ظله ، ستصل إلى السماء ، وتدخل إلى المجد وتحوز الإلتصار .

✚ عندما تجد أيقونة والدة الإله القديسة ، لا تتقل إليها بقلبك ، وتقدم لها شكراً لأنها أظهرت استعداد أو تسليماً لتتفقد

مشيئة الله لتلد ، وترضع ، وتربى مخلص العالم ، وتكون حصناً
منيعاً ، ومعينة لنا في المحاربات الروحية .

✠ وعندما تبصر أيقونات القديسين ، استحضر إلى ذهنك
شفاعتهم وصلواتهم من أجلك دائماً أمام الله . وأنهم يحاربون
معك في المحاربات الغير منظورة . إذ قد حاربوا هم أنفسهم في
أنساء حياتهم بشجاعة ، وهزموا أعدائهم . مبدين لنا فن
القتال . فإن شعرت بمعوتهم وأنت تحارب معاركك ، اعلم
أنك مستكمل مثلهم ، وتنال النصر في المجد السماوي الأبدي .

✠ عندما ترى كنيسة ، فمع الإنكار الجيدة الأخرى ، ففكر أيضاً
أنك أنت ذاك هيكل الله كما هو مكتوب فانكم انتم هيكل الله
الحى (٢ كو ٦: ١٦) . فينبغى أن نحافظ عليه طاهراً ،
وبلا دنس .

✠ عندما تسمع أجراس الكنيسة ، تذكر تحية رئيس الملائكة
لوادة الإله سلام لك ايتهى النعم عليها (١ كو ٢٨) . وتأمل
في الأفكار والمشاعر الآتية :

✠ أشكر الله لأنه أرسل من السماء إلى الأرض هذه البشائر
المفرحة التي هي بدء عمل خلاصك .

• تهلل مع العذراء القديسة من أجل العظمة الفائقة التي
ارتفعت إليها من أجل عمق إلتضاعها .

• واشترك معها ومع رئيس الملائكة غبريال في عبادة الثمرة
الإلهية ، التي جبل به في بطنها المقدسة .

من الاحسن أن تكرر هذا التمجيد دائماً أثناء النهار
مصحوباً بالمشاعر التي ذكرتها واجعلها قاعدة في حياتك أن
تكررهما ثلاث مرات يومياً على الأقل : في الصباح ، ووسط
النهار ، وعند المساء .

وبالاختصار ، أعطيك النصيحة الآتية : كن حساساً وانقبه
دائماً بالنسبة لعلاقتك بحواسك ، ولا تسمح للإنطباعات التي
تأتيك عن طريقها أن تثير أو تغذي أو جاعك . بل على العكس
استعمل حواسك بحيث لا تحيد قيد شعرة عن تصميمك لإرضاء
الله دائماً وفي كل شيء ، وأن تكون منقاداً لإرادته . ولكي تصل
إلى هذا ، بالإضافة إلى تحويل أفكارك من المحسوسات إلى
الروحانيات كما أوضحنا ، عليك أن تمارس التدريب الصغير
المذكور في الفصول الأولى وهو أن لا تنجذب إلى شيء أو تنفر
منه على الفور ، بل تقرر الأنفعال الواجب إزاء كل حالة على حدة
بأسباب مستقيمة ومعقولة . كي تتفق الإنطباعات الناتجة من

الحواس مع إرادة الله ، تلك الإرادة التي نفهمها عن طريق وصاياه .

† سأضيف أيضاً ، أنه لا ينبغي عليك ممارسة كل الطرق التي فصلناها سابقاً لاستعمال الحواس في الأغراض الروحية باستمرار. المفروض هو أن تجمع عقلك في القلب دائماً وتبقى هناك مع الرب وهكذا اتخذه (أى الله) معلماً ومعيناً في نصرته على أعدائك وأوجاعك . إما عن طريق المقاومة الداخلية المباشرة ، أو عن طريق ممارسة الفضائل المخالفة لها . وقصدت من وصفي للطرق السابقة ، إنك تعرف هذه الطرق ، ويمكنك استخدامها عند الحاجة . وكل شيء نافع بلا جدال في محارباتنا الروحية كي نلبس كل أمورنا الحسية ثوباً روحياً .

† † †

قواعد عامة في استخدام الحواس

بقى لي الآن ، أن أبين القواعد العامة لاستعمال الحواس الخارجية . منعاً من إتلاف قيمنا ونظامنا الروحي بتأثير الانطباعات التي تدخل إلينا عن طريقها ، لذلك إصغ :

(١) قبل كل شيء يا أخى راقب بكل حرص ، هذين الشريرين اللذين ينشلان بكل خفة وسرعة - أعنى عينيك - ولا تسمح لهما أن ينظرا نظرات فضولية إلى وجوه النساء سواء كن جميلات أم لا ، (ولا حتى إلى الرجال لاسيما الصغار عديمي اللحية) . ولا تدعهم ينظروا إلى أجساد عارية ، ليس فقط التي للآخرين ، بل جسديك أنت أيضاً . لأن هذا الفضول الذي يصاحبه نظرات شهوانية ، يولد في القلب وجع الزنى ويسهل فعل الشهوة . تلك التي تستوجب الدينونة كما يقول الرب : ان كل من ينظر الى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه (مت ٥ : ٢٨) . وقد كتب أحد الحكماء : إن من النظرة تتولد الرغبة . وسليمان أيضاً ينصحن أن لا نغوى بالعيون ولا نجرح بشهوة الجلال لا تشتهين جمالها بللبك ولا تؤخذ بهد بها (١م ٦ : ٢٥) . وإليك أمثلة للمواقف الموحية التي تكون من النظرات الشريرة . لقد انجذب أبناء الله

فصل شيث وآنوش ، إلى بنات قايين ، حين نظروا إلى بن (تك ٦) .
 لقد رأى شكيم بن حمور الحوى ، دينة ابنة يعقوب فسقط معها
 (تك ٣٤) . وأسر شمشون بجمال دليلة (قضا ١٦) . وسقط داود
 بنظرة نحو بثشبع (٢ صم ١١) . وأثير شيخان ، من قضاة
 الشعب عندما نظرا إلى جمال سوسنا (دانيال - اسفار محدوفة) .
 تحفظ جداً كذلك من النظر بشغف إلى مناظر الطعام والشراب ،
 وتذكر جدتنا حواء ، التي نظرت بشهوة إلى ثمرة الشجرة المحرقة
 التي كانت في جنة عدن. وتجاسرت وأكلت منها ، وهكذا عرضت
 نفسها للهوت مع كل نسائها .

لا تنظر بشهوة إلى أبواب جميلة ، أو إلى فضة أو ذهب ،
 أو إلى بريق الأزياء العالمية لئلا تدخل إلى نفسك - عن طريق
 عيونك - أوجاع المجد الباطل ومحبة المال ، بل أطاب مع داود
 حول عيني عن النظر إلى الباطل (مز ١١٩ : ٣٧) .

وأقول بوجه عام . احذر من مشاهدة رقص ، أو حفلات
 أو مهرجانات أو مجادلات أو مشاجرات ، وكل قيل وقال فارغ ،
 مع كل الأمور غير اللائقة والمخرية ، تلك التي يجلبها العالم اللاحق ،
 وهي محرمة من الياقوت الإلهي . إهرب وأغض عينيك عن كل
 هذا ، لئلا يمتلئ قلبك بمركات الأوجاع ، وخيالك بصور مخزية

وتكون محارباً نفسك بنفسك . فإن عدم استمرارك وتقدمك
في القتال يعني أنك أنت الذى أثرت أوجاعك في نفسك .

تتمكن زيارة الكنائس محبوبة لديك ، ويمكن نظرك في
الآيقونات والكتب المقدسة ، ويمكن تأملك في المدافن
والقبور ومثل هذه الأشياء الصالحة التى تعطى للقلب تخشعاً
وقداسة .

(ب) كذلك راقب آذانك أيضاً من حيث :

أولاً - لا تصغ إلى الأغاني والموسيقى والأحاديث الخلية
المثيرة للشهوة ، تلك التى تملأ النفس بالخيالات الشريرة ، وتقودها
إلى الزنى لأنها تضرم لهيب الشهوة الجسدية في القلب .

ثانياً - لا تصغ إلى المزاح والضحك الفارغ ، ولا إلى قصص
المغامرات القافية وإذا حدث أنك سمعتها ، فلا تبتهج وتنزل
بفكرك إلى مستواهما ، لأنه لا يليق بالمسيحي أن يتلذذ بمثل هذه
الأحاديث ، التى تبهج سوى فاسدى الأخلاق الذين قال عنهم
القديس بولس فيصرون مسامعون عن الحق وينحرفون إلى
الخرافات (٢ تي ٤ : ٤) .

ثالثاً - لا تصغ إلى الوشائات والنم والتشبهات التى ينقلها
بعض الناس عن إخوانهم . والمفروض عليك ، إما أن توقها

إن قدرت ، أو تفسد حبكي لا تسمها . لأن القديس باسيليوس
الكبير يعتبر أن كلا من النوم وسامع الوشاية دون محاولة إيقافها
يستوجبان الحرم الكندي .

رابعاً - لا تصنع إلى الأحاديث الفسارغة الباطلة التي يقضى
فيها محبوا العالم معظم أوقانهم ، ولا تسربها لأن الناموس يقول
لا تقبل (ترفع) خبراً كاذباً (حز ٢٣ : ١) . ويقول سليمان
ابعد عني الباطل والكذب (ام ٨ : ٣٠) كما قال الرب ولكن اقول
لكم ان كل كلمة بطلاة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً
يوم الدين ، (مت ١٢ : ٣٦) .

خامساً - احذر بوجه عام أن تستمع إلى أى كلمة أو حديث
ربما يؤدي إلى ضرر في نفسك . وبالأكثر التلق ، ومديح المرائين
كقول أشعيا النبي يا شعبي مرشدوك مضلون ويبلغون طريق
حسابك (اش ٣ : ١٢) بل أمل بسمعك نحو الكلمات الإلهية
والترانيم المقدسة والمزامير وكل ما هو صالح ومقدس ومفيد
للنفس ويعطيها حكمة ... وبالأخص حب الاستماع إلى التوبيخات
والإهانات الموجهة اليك كي ما تصغ في ذمك .

(ج) راقب حاسة الشم واحفظ أنفك من ترف العطور ،
بما تثير فيك أفكاراً وإنطباعات شهوانية . لا تستخدمها

أنت ذانك ، ولا تعطر نفسك بها ، ولا تستنشقها في ترف شهواني
 وإنحلال . فإن هذا يناسب النساء الرديشات ، وليس للرجال .
 محي الحكمة . لأنها تضعف الرجولة في النفس وتثير أوجاعاً
 جسدية وشهوات ربما تؤدي إلى السقوط . وهكذا تنطبق عليك
 الويلات التي صيها عاموس النبي على الذين يستعملون روائح عطرية
 مشيرة ويل للذين يدهنون بأفضل الادهان (عا ٦ : ١ ، ٦) فيكون
 عوض الطيب عفونة (اش ٣ : ٢٤) .

(د) لحفظ حنجرتك وبطنك لئلا يؤخذان من الأطحمة
 الشبيهة المتخممة والمشروبات المنوعة المسكرة . لأنك إن تركت
 لها العنان تصير مستعبداً لأوجاع أخرى كثيرة وأعمال شريفة
 كالكذب ، والمخادعة وحي السرقة ... وعندما تسود عليك شهوة
 الموائد ، يمكنهما أن تلمق بك إلى حضيض الذات الجسدية
 والشهوات البهيمية التي إعتادت أن تعمل أسفل البطن ... حينئذ
 تقع تحت ويلات عاموس النبي حين قال ويل ... والأكلون خرافة
 من الغنم وعجولاً من وسط الصيرة ... الشاربون من كؤوس الخمر
 (عا ٦ : ٤ ، ٦) .

(هـ) تحفظ من المجسة والضغط بالأيدي واحتضان الأجسام
 ليست التي الآخرين لحسب لامرأة كانت أم رجل ، صغاراً كانوا
 أم كبار ، بل جسديك أنت أيضاً ما لم تكن هناك ضرورة ملحة

لا تلبس أجزاء معينة . كلما زادت هذه المجسات المنحلة كلما عاشت الاستنارات الشهوانية للجسد ونمت . التي تؤدي إلى الفعل الرديء نفسه . إن كل الحواس الاخرى تدعم حركة الشهوة بتأثير غير مباشر لارتكاب الخطية ، ولكن عندما يصل الإنسان إلى النقطة التي فيها يلبس ما لا ينبغي لمسه ، يصعب عليه جداً أن يتراجع عن فعل الخطيئة .

* التحفظ من اللمس أيضاً يمتد إلى ما ترتديه من ملابس فوق الرأس أو ثوب الجسد ، أو أحذية القدم . احذر أن تلبس جسدك ملابس فاعمة ، أو ملونة أو براقة ، وتضع على رأسك أغطية ثمينة ، وتحتذي في قدميك بأحذية غالية . فكل هذه أمور نسائية رديئة لا تليق برجل . بل ليسكن ثوبك محتشماً ومتواضعاً لغرض حماية جسمك من البرد شتاءً ومن الحر صيفاً ... لئلا تسمع الكلمات الموجهة إلى الرجل الغني الذي كان يلبس البر والأرجوان « اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك » (لوقا : ١٦ : ٢٥) ولئلا ينطبق عليك تهديد حزقيال النبي « فتنزل جميع رؤساء البحر عن كراسيهم ويخلعون جيبهم وينزعون ثيابهم المطرزة » (حز : ٢٦ : ١٦) .

* الامور المذكورة تصليح بصفة خاصة للربان والتسكين

تحت هذه الطائفة عيونا ضع كل تنهات الجسد مثل : كثرة
 الاستحمام ، القصص المبهمة ، السجادة الجيدة ، الفخمة ، والرياش
 الفاخرة ، والاسرة الناعمة والاضطجاع عليها . لاحذر من كل
 هذا ، ما دمت تظهر طهارتك ، وهي السبب المباشر في الانطباعات
 والحركات والانارات الشهوانية ، والأعمال الجسدية لئلا يكون
 لك نصيب مع من توعدهم عاموس النبي « ويل ... المضطجعون
 على اسرة من العاج والمتمددون على فراشهم » (عا ٦ : ٤ ، ١) .

إن كل ما ذكرته هو الزاب ، الذي حكم على الحية - الجرب
 أن تأكله ، وكل هذا أيضاً طعام تتغذى عليه أوجاعنا الجسدية .
 فحينما لا تلفت إلى هذه الأمور بل تحترقها وتسلح ضدها
 فمراجعة كي لا تدخل إلى نفسك أو إلى قلبك بواسطة الحواس
 فإنني أؤكد لك أنك ستكسر قوة الشر والأوجاع ، لأنك ستحررها
 من الطعام الذي عن طريقه ينمرون فيسلك . وستصير أنت بعد
 وقت قصير من المتصيرين البوائس في محارباتك الروحية .

مكتوب في سفر أيوب « اليت هالك لعدم الفريسة »

(أي ٤ : ١١) . هذا اليت هو الشرير ، عدونا الدائم ، هو يفر
 من الإنسان الذي لا يعطيه طعاماً من حيث أنه قد أخذ وقطع
 كل الحركات الوجدانية الناتجة بتأثير حواسنا الخارجية .

قال أحد الرهبان . إن الشيطان يشبه أسد النمل : فهو يبدأ
 في تخريب الإنسان بالقائه أولاً في خطايا صغيرة مثل صغر النملة ،
 وبعد أن يعود الإنسان على هذه الخطايا الصغيرة يلقيه في الكبيرة
 هكذا الشيطان ، يظهر أولاً أنه ضعيف وصغير كالنملة ، وأخيراً
 يظهر مثل ماردم هائل ، وأسد قوى .



في ضبط اللسان

المجد الباطل في الكلام

إن الأمر الضروري هو أن نضبط ونلجم لساننا . إن محرك اللسان هو القلب وما يملأ القلب ، هو الذي يخرج خارجاً عن طريق اللسان . والعكس بالعكس ، أي أن المشاعر التي تخرج من القلب عن طريق اللسان ، تقوى وتتأصل في القلب . لذلك فالقلب يعتبر من العوامل الأساسية في بناء كياناتنا الداخلي .

إن المشاعر الطيبة الصالحة ، دائماً صامتة . أما المشاعر التي تبحث عن تعبير الكلمات هي غالباً مشاعر مدح الذات . لأنها تطلب أن تعبر عما يتملق محبتنا لذواتنا ، ويرينا أنفسنا في أكل بهاء كما نتصور . الثروة غالباً ما تأتي من مجد باطل وفيه ، يجعلنا نظن أننا نعرف كثيراً ، ونحاول أن نتمق آراءنا في موضوع المناقشة ، كي تكون أكثر تقبلاً من آراء الآخرين ... لذلك نختبر شراً لا يُقاوم بأن نتحدث بسيل من الكلمات ، بكل تكرار كي ما نعبّر عن ذات الرأي مقهمين ذواتنا في قلوب الآخرين . كمدلين غير مكفين ، وأحياناً أيضاً ، نحلم بأن نكون تلاميذ من .

أشخاص يفهمون الموضوع أكثر من الماسلم . على أية حال ، هذا يشير إلى الحالات التي تكون فيها موضوعات المحادثة جسيمة بالانفاس .

وجع الثرثرة

ولكن في حالات كثيرة ، تكون الثرثرة مرادفة للكلام الباطل . حينئذ لا يكون هناك كلمات كافية للتعبير عن الشرور الكثيرة التي تظهر من هذه العادة القبيحة . ان الثرثرة بوجه عام تفتح أبواب النفس ، وتجعل الحرارة والخشوع يهربان من القلب فالأحاديث الباطلة لها نفس التأثير ، ولكن بصورة أشد . الثرثرة تشقت إنقباذ الشخص خارجاً عن نفسه ، وترك قلبه بلا حماية . هذا هو الجو حيث تبدأ الأميال الوجدانية المعتادة والأهواء الغير مربية أن تعمل وتسرق وتتهب كنوز النفس . الأحاديث الباطلة هي باب الاغتيال والنميمة ، وهي مروج الإشاعات المختلفة والآراء الدائفة ، وهي التي تغرس بذور الخصومة والنزاع . لأنها تخنق العمل العقلي ، وهي غطاء للجمل والحماقة . فبعد ما ينتهي الحديث الكلامي ، يرتفع ضباب الرضى عن الذات ويملا النفس ودائماً ما يجلب معه إحساس البلادة والاختفاق . أليس هذا دليلاً على شعور النفس أنها سُرقت بلا إرادة ؟

كثرة الكلام لا تغلو من معصية

ولكى أبين كيف أنه يصعب على الرجل الثرثار أن ينجو من الغلط والخطأ والضرر أسوق قول يعقوب الرسول الذى يعتبر حفظ اللسان داخل حدوده الصحيحة هي صفة الكاملين فقط : « ان كان احد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل قاده ان ينجم كل الجسد ايضا » (يع ٣ : ٢) . وبمجرد أن يبدأ اللسان في الحديث بدافع شهوة الكلام ، يتدفع كالحصان الجامح (الذى بلا لجام) ، ويخشى ليست أعماله الصالحة فقط بل والرديئة الضارة أيضاً . وهذا هو السبب في أن الرسول يدعو اللسان « شهراً لا يصبىء مهلوا سها مهيتا » (يع ٣ : ٨) وقبله بوقت طويل قال سليمان أيضاً « كثرة الكلام لا تغلو من معصية » (ام ١٠ : ١٩) . وعلى العموم فلنقل مثل الجامعة إن الرجل الثرثار يظهر حماقة لأن القاعدة هي أن « الجاهل يكثر الكلام » (جا ١٠ : ١٤) .

+ لا تطيل حديثك مع إنسان لا يسمع لك بقلب سليم ،
لئلا تضايقه ، وتكون مبغوضاً لديه كما هو مكتوب « الذى يزيده الكلام يردل » (سي ٢٠ : ٨) .

+ احذر أن تتكلم بطريقة التراس (بسلطة لسان) أو بقساوة
لأن كلامها لا يناسبان على الإطلاق، بل وتجعل الناس تشك فيك
وفي فكرتك عن نفسك .

+ لا تتحدث عن ذاتك أو شئوك أو أقاربك ما لم تكن هناك ضرورة ، وحتى ذلك يكون باختصار ، ويكون قليلاً بقدر الإمكان . وإن أبصرت كثيرين يتحدثون عن أنفسهم كثيراً ، لجبر نفسك أن لا تجاريهم ، حتى ولو بدت كلامهم متواضعة وتحدث تقارباً فكرياً . أما بالنسبة لجارك وأحواله ، لا ترفض أن تناقشها ، ولكن أيضاً بالاختصار على قدر الإمكان ، حتى إن كنت تتكلم في هذه الأمور من أجل منفعة .

+ وفي أثناء المحادثة ، تذكر ، وحاول أن تتبع نصيحة القديس جلاسيوس التي تقول : « من الخمسة مواقف للمحادثة مع الآخرين ، يستعمل ثلاثة بافراز وبلا خوف ، واستعمل الرابعة قليلاً ، واحذر أن تستعمل الخامسة ، وقد فهم أحد الكتاب الثلاثة أن الأول هم : نعم ، ولا ، وطبعاً أو (من الواضح أن الأمر كذلك) . وفهم أن الرابعة هي عن الأشياء المشكوك فيها ، والخامسة عن الأمور الغير معروفة لك بالكلية . بمعنى ، أنك بالنسبة للأمور التي تتأكد أنها صحيحة أو خاطئة أو واضحة لك ، تكلم عنها باقتناع قائلاً أنها صحيحة أو خاطئة ، أو واضحة . ومن جهة الأمور المشكوك فيها لا تقل شيئاً ، ولكن عند الضرورة قل أنه مشكوك فيها كي ما يكون حكاك على

الأمور سليماً ، وما لا تعرفه ، لا تتحدث عنه .

يقول شخص آخر : إن لدينا خمسة صيغ من الحديث : صيغة
المنادى ، عندما تنادى على شخص ، وصيغة الإستفهام . عندما
نسال سؤالاً ، صيغة الإلتماس والتوسل عندما نعبّر عن رغبة
أو رجاء . وصيغة الجزم ، عندما نعبّر عن رأى قاطع فى أمر ما
وصيغة الأمر ، عندما نعبّر عن أمر نصدره بسيادة وسلطة . من
هؤلاء الخمسة استعمل الثلاثة الأولى بحرية ، والرابعة نادراً
بتقدير الإمكان ، ولا تستعمل الخامسة على الإطلاق .

كيف تتعلم وكيف تسمع

تحدث عن الله بكل خضوع وإجلال ، لا سيما عن حبه
وصلاحه . ولكن خف فى نفس الوقت لئلا تخطئ وتسىء إليه
بالتحدث عنه بطريقة خاطئة مسببة عنزة فى قلوب السامعين
البسطاء . لذلك أحرى بك أن تستمع للآخرين عن هذا الموضوع
مودعاً كلماتهم فى بيت كثر قلبك الخفى (الداخلى) .

أما عندما يكون الحديث عن أشياء أخرى (غير الله) ،
فدع نبرات الصوت فقط تدخل إلى أذنيك دون أن يدخل الفكر
إلى عقلك ، لأن العقل ينبغى أن يكون موجهاً بثبات نحو الله .
حتى إن كان ضرورياً أن تستمع إلى المتكلم ، كى تفهم ما يتكلم

به ، ولكي تعطى ردوداً مناسبة ، لا تنسى في وسط إنصائك ،
 وكلامك أن ترفع عينى عقلك إلى فوق حيث يكون الله ، منكرأ
 في عظمته ، ومذكراً أنه لا يكف عن النظر إليك إما برضى
 وإما بعدم رضى ، بحسب فكر قلبك وأقوالك ، وحركاتك
 وأفعالك . وعندما تنهيا للكلام ، إخص جيداً أفكار قلبك التي
 تريد أن تخرجها إلى شفتيك وقل مع داود « اجعل يارب حاوساً
 قلبي . احفظ باب شفتي ، (مز ١٤١ : ٣) حينئذ ستجد أموراً
 من الأفضل عدم صعودها إلى شفتيك . لأن أموراً كثيرة نطن
 أنه من الجيد أن نعبّر عنها من الأفضل لها جداً أن تدفن في قبر
 السمكوت .

سلاح الصمت

إن الصمت قوة عظيمة نستعين بها في محارباتنا الروحية .
 الصمت رجاء . أكيد للحصول على النصرة . الصمت يحبه ذلك
 الذي لا يعتمد على نفسه بل يتكل على الله وحده .

الصمت حارس الصلاة المقدسة . وعون إعجازي للتدريب
 على الفضائل ؛ إن الصمت علامة الحكمة الروحية .

يقول القديس مار إسحق : « إن حراسة اللسان لا ترفع
 العقل إلى الله . فرب بل تعطى قوة عظيمة سرية لتكميل الأعمال

المنظورة، التي يؤديها البدن . ممارسة الصمت بمعرفة يعطى إستنارة
في الأعمال الخفية . .

وفي مكان آخر يمدح الصمت قائلاً : إن وضعت كل الأعمال
المطلوبة من الحياة النسيكية في كفة ، ووضعت الصمت في الكفة
الأخرى لرجحت الأخيرة عن الأولى . .

وفي مكان آخر يطاق على السكوت : « إنه سر الحياة المقبلة »
أما الكلمات فهي وسائل هذا العالم . .

والقديس برصنوفوس يضع الصمت (السكوت) في مرتبة
أعلى من التعليم بكلمة الله قائلاً : « إن كنت كاملاً في كل نقط
التعليم ، فاعلم أن السكوت أجدر بالفخر والمجد . .

فهكذا ، يمكن لإنسان أن يكون « ساكتاً لأن ليس عنده
جواب وآخر يوجد ساكتاً وهو غاف الوقت ، (سي ٢٠ : ٦) .
ويضيف القديس مار اسحق أسبانياً أخرى للصمت فيقول : قد
بصمت الإنسان من أجل مجد بشري ، أو شغف بفضيلة السكوت
أو لأنه يشترك مع الله في قلبه سرراً ولا يريد أن يشتت إنتباه
عقله عن الله . . ويمكن أن يقال بوجه عام ان الإنسان الحافظ
للصمت يكون عاقلاً ، وحكيماً ، وطيب الأحاسيس
(سي ٢٠ : ١ ، ٥) .

سأبين لك طريقاً مستقيماً بسيطاً ، يكسبك عادة الصمت :
مارس هذا التدريب ، والتدريب نفسه سيعلمك ماذا تفعل ،
وسيمنحك معونة للإستمرار فيه بشغف متزايد .

فكر كثيراً بقدر الإستطاعة في المضار والعواقب الوخيمة
الناجمة من الثروة بعدم إفراز . وفي النتائج المشرفة للصمت بحكمة
وعندما تتذوق ثمرة الصمت الشمية ، سوف لا تحتاج إلى دروس
أخرى عنه .



كيف ينصلح الخيال وتقوم الذاكرة

بعد أن تحدثنا عن الحواس الخارجية ، سنتكلم الآن أيضاً عن كيف ينصلح الخيال وتقوم الذاكرة ، لأن معظم الفلاسفة يرون أن الخيال والذاكرة هما إلا إنطباعات ناشئة عن كل الموضوعات الحسية التي رأيناها ، أو سمعناها ، أو ذقناها ، أو إستشققناها ، أو لمسناها . فيمكن أن يقال ان الخيال والذاكرة هما حاسة داخلية واحدة عامة . تجسم ، وتذكر بكل شيء مما قد إختبرته الحواس الخمس الخارجية قبلاً . فالحواس الخارجية والأمور الحسية يمكن تفسيرها بطابع البريد ، والخيال هو المادة اللاصقة لهذا الطابع . لقد أعطى الخيال وأعطيت الذاكرة لنا ، كي نستخدمهما عند صكون الحواس الخارجية ، ولا تكون الأشياء الحسية موجودة أمامنا . فبعد أن تعبر هذه الأشياء على الحواس وتلتصق بالخيال والذاكرة - حيث لا يمكننا أن نتصور أمامنا دائماً الأشياء التي رأيناها ، أو سمعناها ، أو ذقناها ، أو إستشققناها أو لمسناها - فيمكننا أن نثيرها في شعورنا الواعي عن طريق الخيال والذاكرة ، وبهذه الطريقة نفحص هذه الأفكار كما لو كانت مجسمة أمامنا .

مثال ذلك . ربما نكون قد زرت دير السريان في إحدى
المرات ، ثم تركته ورجعت فعندما تريد أن تراه مرة أخرى -
وهو ليس أمام عينيك الطبيعيين - يمكنك أن تصور دير
السريان في حواسك الداخلية ، أى الخيال والذاكرة وتراه كما
هو بمميزاته المعتادة ، أبعاده ، ووضعه . هذا لا يعنى أن روحك
قد تركتك وذهبت إلى دير السريان كما يفكر البعض ، ولكن
يعنى ببساطة أنك رأيت صورة دير السريان التى إنطبعت فيك .

إن تجسيم الأمور الحسية كثيراً ما يضيق ويزعج الأشخاص
المشتاقين دائماً للبقاء مع الله . لأن التخيل والتذكر فى الأمور
الحسية يشكك الإلتجاء بعيداً عن الله ، ويبدده فى الباطل ، بل
وحتى فى الأمور الخاطئة ، وهكذا تضطرب حالة الهدوء الداخلى
وأكثر من ذلك ، نحن لا نعانى من هذا فى اللحظة فقط ، ولكن
فى الأحلام أيضاً حيث يستمر تأثيرها لبضعة أيام ...

من المسلم به أن الخيال قوة خالصة من المنطق ، وهو يعمل
تلقائياً ، خاضعاً لقانون تواتر الصور ، ومن ناحية أخرى نعلم أن
الحياة الروحية هى صورة الحرية النقية . فنرى من هذا أن نشاط
الخيال يعتبر معوقاً للحياة الروحية . وهذه بعض النقاط التى تدعم
هذه الفكرة :

(أ) اعلم أن الله فوق سائر المحسوسات ، لأنه فوق الأشكال والألوان ، والقياس والمكان ، لا نستطيع أن نصوره ، لأنه بلا هيئة . رغم وجوده في سائر الأشياء ، لكنه فوق كل الأشياء ولذلك هو فوق كل تخيل . يقول القديس مكسيموس نقلا عن القديس أغناطيوس : « لا يمكن تخيل الله في الذاكرة » ، لأنه يفوق كل عقل . نستنتج من هذا أن قوة التخيل في النفس ليس لها مقدرة بحسب طبيعتها . أن تدخل في دائرة الاتحاد بالله .

(ب) اعلم أيضاً أن الشيطان - وكان الأول بين الملائكة - كان منذ القديم ، فوق كل حماقات الخيال ، متحرراً من كل هيئة ، أو لون ، أو شعور حتى ... كان من المخلوقات المعنوية اللامادية ، عقلاً بلا شكل أو هيئة . ولكنه أطاق العنان لخياله فلا عقله بصور مساواته مع الله ، وهكذا سقط عقله من الشفافية البسيطة التي بلا تهيؤ ، ولا تصور ، ولا وجع ، إلى الخيال الكثيف ، والهواجس الرديئة وهكذا تحول من ملاك غير مادي لم يكن له شكل ولا أرجاع ، إلى شيطان يظهر بصور مادية معينة ، عديدة الشكل ، وتعرض للأرجاع . وما صار له ، ساد أيضاً على كل خدامه الإباحة . (كما يعتقد معظم اللاهوتيون) .

لقد كتب عنهم القديس أغريغوريوس السينائي هكذا :

«لقد كانوا (أى الشياطين) فى وقت ما عقولاً ... ولكنهم إذ سقطوا من الالامادية والصفاء ، اكتسب كل واحد منهم شكلاً كثيفاً معيناً ، وأصبح له جسداً بحسب مستوى وطبيعة الأعمال التى تميز أفعاله . ومن ذلك الوقت - تماماً مثل الإنسان ، فقدوا بهاء الملائكية السمانية ، وطرّدوا من النعيم الإلهى - مثلنا أيضاً - وابتدأوا يحدّون لذة على الأرض بعد ما صاروا ماديين ، واكتسبوا طبيعة الأوجاع المادية . لهذا السبب كان الآباء يطلقون على الشيطان أنه الوسواس ، والحية المتشككة بأشكال كثيرة ، التى تغذى على تراب الأوجاع ، ومولد الهواجس - وأسماء أخرى وهكذا . أما كلمة الله تصور أن له جسداً اثنين ، له ذيل ، وضلوع ، ورقبة ، وأنف ، وأعين ، وفك ، وشفاه ، وجلد ، ولحم ، وأعضاء مثل هذه . أقرأ عن هذا فى اصحاح ٤٠ ، ٤١ من سفر ايوب .

نفهم من هذا أيها الحبيب أن الهواجس والخيالات العديدة هما من خلق الشيطان واختراعاته ، لذلك هو يرحب بهما جداً لأنها تفيد ، وتعينه على خرابنا . لقد شبه الآباء القديسون هذه الهواجس بالقطرة التى يمبر عليها الآباسة الفتلة ويدخلون منها إلى نفوسنا . وإذا يخطئون بها ، يذنبون الهواجس والخيالات

عقلية النمل ، فتصير مأوى للأفكار المفزعة الشريرة الدنسة . .
وكل أنواع نجاسات النفس والجسد .

(ج) قال أحد اللاهوتيين : « لقد خلق الله آدم ، الإنسان
الأول ، نقي العقل ، وخالياً من تشويش الصور ، غير متأثر
بالحواس ، ولا المحسوسات ، لم يكن له قوة خيال دينية ،
ولم يكن يعرف الأجسام ولا يحدد الأشياء شكلاً وحجماً
ولوناً . . . ولكنه كان يتأمل بقوة نفسه العليا ، أى الفكر ،
في روحانية ونقاوة بعيداً عن شغب المادة ويتفهم الأفكار
النقية فقط عن الأشياء وفخاها الداخلي . ولكن الشيطان ،
قتال البشر ، إذ قد سقط هو ذاته عن طريق أحلام مساواته
بالله ، أغرى ذهن آدم بهذه الفطنة عينها - أى مساواته
بالله - وهذه أدت إلى سقوط آدم . من ثم سقط من حياته العقلية
النقية اللامادية التي بلا خيال ، والتي كانت قريبة من حياة
الملائكة ، وخاص في التعقيدات الحسية ، والحواس الودية ،
والأوهام والفتنسات - حالة البهائم التي لا تميز . لأن الغوص
في مثل هذه التصورات والحياة فيها ، هو نوع من البهيمية التي
لا تعقل ، وليست طبيعة الموجودات المعقولة (العاقلة) .
من يستطيع أن يخبر بكل ما أصاب الإنسان من ضرور »

وأرجاع ، وأخطأ بعد ما سقط في هذه الحالة من الفنطسات الخيالية ؟ لقد إمتلأت مفاهيمه الأخلاقية بالخداعات الكثيرة ، ومفاهيمه الطبيعية بتماليم عاطئة ، واللاهوت بنزعيات غير لائقة ولا معقولة . ولم يقتصر هذا التأثير على المفكرين القدماء فقط بل والمحدثين أيضاً حيث أرادوا أن يفحصوا الله ويناقشوا أسرارهِ الإلهية بخيالهم وفنطساتهم ولم يعرفوا أن هذا عمل الجانب الأسمى من النفس - العقل - لأن الله جوهري بسيط . ولكنهم تجاسروا على هذا الفحص ولم تكن عقولهم نقية في الأشكال الوجدية ، والصور الشهوانية والأمور الحسية فاختلقوا أكاذيب بدلاً من أن يذعنوا الحق ... والأمر المؤسف بنوع خاص هو قبول قلوبهم ونفوسهم لهذه الأكاذيب ، وتمسكوا بها جداً على أنها الحق الحقيقي . وهكذا صاروا مخرفين برغم أنهم لا هوتيون . وحق عليهم قول الرسول : « أسلمهم الله إلى ذمهم من قوض » (رو ١ : ٨) .

لذلك يا أخى : إن أردت أن تتحرر من هذه الأخطاء فبدلاً ، وتطرح الأوجاع بسهولة .

إن كنت تبحث عن مهرب من شباك وغطاخ الشيطان .

إن كنت تتوق للإتحاد مع الله وتريد أن تنال نور الحق
الإلهي .

✦ ادخل بشجاعة في حرب مع خيالك ، وقا تل بكل قوتك
كي تنتشل عقلك من سائر الأمور الخبيثة ، وتذكر المحسوسات ،
سواء كانت جيدة أم رديئة . لأن كل هذه الأشياء تعتم نور عقلك
وتشوش نقاوته ، وتجعله كشيءاً حتى في الأمور اللامادية ،
وترجع العقل إلى أوجاعه . عملياً ، لا يوجد أى و جمع نفسياً كان
أم جسدياً ، يقدر أن يقترب إلى الذهن إلا عن طريق تجسم
المحسوسات المناظرة .

لذلك حاول أن تحفظ عقلك نقياً من كل الأشكال والصور
والألوان ، بالوضع الذي خلقه الله عليه .

✦ كي تصل إلى هذا ، يلزمك إرجاع عقلك إلى ذاته ، إحصار
إياه في مكان قلبك الضيق وفي الإنسان الداخلي كله .

تدرب على المكوث في الداخل سواء بالصلاة الخفية داخياً
« يا رب يسوع المسيح ابن الله إرحمني أنا الخاطيء » ، أو قاصداً
نفسك بكل إنتباه .

ولا تكن فوق كل شيء ، تأمل في الله من هناك واسترح فيه .

إن الثعبان عندما يريد أن يخلع جلده القديم يحشر نفسه في مكان ضيق - كما يخبرنا الطبيعويون - داخل فيه بصموبة، وهكذا يتخلص من جلده القديم ... والعقل أيضاً ، عندما يسجن في عمر القلب الضيق مع الصلاة العقلية التي من القلب ، يخلع عنه ثوب التنجيد للحسيات الرديئة ، ويتخلص من انطباعات المحسوسات ، ويصير نقياً ، ذا بهاء ، مؤهلاً للإتحاد مع الله .

كما أن قناة المياه الضيقة يزداد فيها التيار إندفاعاً وإرتفاعاً هكذا كلما انضبط العقل بالتدريبات الخفية في القلب وانقلب إلى ذاته يقوى ويرتفع إلى أعلا .

إن أشعة الشمس المشتتة في الهواء ، والغير متحدة مع بعضها أقل نوراً ودفئاً مما لو أنها تجمعت بواسطة عدسات معينة إلى نقطة واحدة حيث يكون - في هذه الحالة الأخيرة - النور باهراً والحرارة محرقة ، هكذا أيضاً عندما يتجمع العقل إلى ذاته في مركز القلب ، يضيء ويلتهب بالممارسات الخفية ، ولا تبقى فيه ظلمة الأوجاع حيث يحرق سائر النصورات المادية ويملك الحركات الوجدية .

ضيق هو الباب

هذه هي الطريقة الأولى والرئيسية للتحكم في الخيال والذاكرة

ولذلك أياها الحبيب أن تمارسها باستمرار . لأنك بواسطة هذه الطريقة تقوم الخيال والذاكرة اللذان هما من قوى النفس ، وتزيل منها كل الآثار والبقايا والإنطباعات والصور التي لصقت فيك قبلا عن طريق المحسوسات وكانت تبيج الأوجاع فيك وتغذيها . ولكن بحسب فوائدها الجمّة وفاعليتها ، زادت صعوبة هذه الطريقة . وبحسب صعوبة هذه الطريقة قل من رغب أن يستعملها من الناس .

قليلون هم الذين يجدونه

انظر إلى القول ، بأن الأشخاص الذين يؤمنون بقوتها قليلون جداً ، وقد رفضها الكثيرون لاسيما من بين المتعلمين والحكماء ، ليس من العلماء فقط ، بل ومن الإكليروس أيضاً . رافضين أن يصدقوا تعاليم الروح القدس في الأسفار الإلهية وفي أقوال الآباء القديسين . لأنه بحسب كلمة المخلص : إن الله ، اخفى هذا عن الحكماء والعلماء وقد أعلنها للأطفال ، (لو : ١٠ : ٢١) . لأن الذين لم يؤمنوا بقوة هذا الفعل الداخلي ، فلم يمارسوه يحذرهم قول أشعياء النبي : إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا . (اش : ٧ : ٩) .

عندما تحس أن لديك قد تعب ، ولا تقدر أن يبقى في صلاة .

العقل والقلب هذه ، لاستعمل في ذلك الوقت الطريقة
الثانية ، وهي :

دع عقلك يستمتع بحرية في التفكير والتأمل الروحاني ،
سواء في الاسفار المقدسة ، أو إلهاءات خلائق الله ، فإن مثل
هذا التأمل الروحاني قريب إلى طبيعة العقل الرهيف اللامادي
وبهذه الطريقة لا تسجنه أو تنقله في الاشياء الخارجية . بل على
العكس تروى عطشه في حدود مجاله بلا تشويش .

وهذه التأملات - بطبيعتها - ترد العقل للرجوع سريعاً إلى
القلب ليتحد بالله وهذا بأن يغوص في التذكر الداخلي لجلاله
وحده . هذا هو السبب في أن القديس مكسيموس يقول «العقل
إن عمل بمفرده لا يتحرر من الأوجاع بل يجب أن يتكسر
لتأملات روحية مختلفة» .

لذلك حذر من أن تنحصر في الجانب المادي من خلائق
الله سواء كانت أشياء جامدة أم أجساماً حية ، أو عندما تكون
تحت نير أوجاع ، لأنه بحسب قول القديس مكسيموس يكون
العقل غير متحرر بعد من النظرة الحسية الوجدانية فبدلاً من أن
يتجاوز العقل عن الماديات ويدخل إلى الأفكار الروحانية
اللطيفة ، يكون منجذباً فقط بتأثير الجمال والحسن الخارجي ،

وفي التلذذ بهما فيخرج من هذا كله بانطباعات مزيفة وإرتباطات
وجعية . الخطر الذي أودى بكثيرين من الفلاسفة الطبيعيين .

أيضاً ، كي تعطى فسحة وراحة لعقلك ، يمكنك اتباع الطريقة
الثالثة وهي أن تتأمل في أسرار حياة وآلام الرب ، أعني ، مولده
في مزود ، خثانته ، شهادته لله في الهيكل ، عماده في الأردن ،
صومه الأربعين يوماً في البرية ، تعاليه في الإنجيل ، معجزاته
الكثيرة ، تجليه على جبل تابور ، غسله أرجل تلاميذه ، وتسليمه
لهم الأسرار في العشاء الأخير ، خيانة يهوذا له ، وآلامه ، وصلبه
ودفنه ، وقيامته ، وصعوده إلى السماء .

تأمل في عذابات الشهداء الكثيرة ، وما أثر الآباء القديسين
في نسكياتهم الشديدة لسنين طويلة .

وبنفس الطريقة ، كي ينسحق قلبك وتثير فيه مشاعر التوبة ،
يمكنك أن تتأمل أيضاً في ساعة الموت الرهيبة ، ويوم الدينونة
المخيف ، والعذابات الأبدية المتنوعة - محيطات من النيران الأبدية ،
الغاية المظلمة ، والظلمة الحالك في الجحيم ، الدود الذي لا ينام ،
الحياة مع الشياطين ...

كذلك تأمل أيضاً في السلام الكامل والفرح الذي لا ينطق

به الذى للأبرار فى ملكوت السموات والحمد الأبدى . ففكر فى
النعم الدائم ، وأصوات المفدين ، الإتحاد الكامل مع الله ،
والشركة مع الملائكة والرفعة مع القديسين .

فان كنت يا جيبى تجلب مثل هذه الأفكار وتوردها على
صفحات خيالك ، فستتحرر من الأفكار الشريرة والذكريات
الذنسنة ، كما أن هذه المحاولات تذكرك فى يوم الدينونة كما يقوله
القديس باسيليوس الكبير فى مقالاته عن البتولية « كل إنسان ،
أثناء حياته بالجسد ، يشبه الرسام الذى يرسم صورة فى مكان
خفى ، وعندما تتم صورته يخرجها الرسام إلى الخارج ويعرضها
أمام النظارة . فيمتدح إن كان قد إختار موضوعاً جيداً ورسمه
بإتقان ، أو يُذم إن كان الموضوع الذى إختاره رديئاً أو إن كان
قد رسم بردائه . هكذا كل إنسان بعد الموت يخرج إلى دينونة
الله . فيمتدح ويكرم من الله والملائكة والقديسين إن كان قد زين
عقله وخياله بالصور الروحانية والمثالات الإلهية والأفكار
الجميلة . أو يُدان بخزى ، إن كان بعكس هذا ، أى ملا عقله بصور
الأوجاع الذنسية الدنيئة . »

والقديس أغريغوريوس من تسالونيكى ، أبدى دهشة من
الطريقة التى تؤثر بها المحسوسات فى النفس بواسطة الخيال ، لأنها

(المحسوسات) إما أن تجلب نوراً على العقل تقوده إلى حياة النعيم الأبدي ، أو تجلب ظلمة العقل تقوده إلى الجحيم .

لا أفصد ، أن تنشغل باستمرار بهذه الأفكار وحسبها ، ولكن أعني أنه يمكنك أن تستخدمها أحياناً إلى أن يستريح عقلك الذي تعب من سجنه في القلب . فبعد ما يستريح ، عدد به مرة أخرى إلى القلب وأغصبه على البقاء هناك بدون هواجس الصور الرديئة ، ولا تكف عن تذكر الله في القلب . لأنه كما أن الحار والقواقع لا تستريح إلا في أصداقها ، هكذا العقل لا يجد سلامه الطبيعي إلا في مخدع القلب وفي الإنسان الداخلي ، حيث يأوى كما في قلعة حصينة . ويشهد حربه بنجاح مع الأفكار والأعداء والأوجاع المختبئة هناك أيضاً في قلبه وكثيرون لا يعملون بهذا .

إن إختباء الأوجاع فينا - في قلوبنا - ومحاربتها لنا من هناك ، ليست أفكارى الخاصة . أستمع إلى ما يقوله الرب : لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل ، ونفى فسق سرقة شهادة زور تعديف هذه التي تنجس الإنسان (متى ١٥ : ١٩ ، ٢٠) . كذلك حقيقة أن أعدائنا الشياطين يحتبئون بالقرب من القلب ليست من اختراعى . بل هي تعاليم آبائنا القديسين وقد كان

القديس دبادوش (St. Diadoch) أكثرهم تحديداً حين قال
بأن النعمة الإلهية تحرك الإنسان من الخارج نحو الخير بينما
يكون الشيطان محتبباً في أعماق القلب والنفس . أما بعد العباد ،
فإن الشياطين تحوم حول الإنسان من الخارج ، بينما تدخل النعمة
إلى الداخل . بل يذهب القديس إلى أبعد من هذا فيقول بأن حتى
بعد العباد يُسمح لأعدائنا أحياناً أن يخترقوا أعماق أبداننا
ويصلوا كما إلى قرب سطح القلب كأختبار لإرادتنا . من هذا
يلوئون العقل بلذات الشهوات اللاحمية .

عمل النعمة ... وسلطان الظلمة

القديس أغريغوريوس النافولوجوس يعلم نفس الشيء مفسراً
ما قاله الرب عن الروح النجس الذي يخرج من الإنسان ، ثم يرجع
مرة أخرى ، واصلاً إلى أن نهاية ذلك الإنسان أشر من أوالله
(مت ١٢ : ٤٣ - ٤٥) . يقول القديس أغريغوريوس بأن
هذا الشيء نفسه يحدث للمتعمد إن لم يتم بالبقاء في داخل قلبه
وهذا هو النص : إن الروح النجس المطرود من المتعمد - ولا يهتم
حصوله على مأوى ، يطلب راحة جائلاً هنا وهناك ، ولا يجد
مأوى ، فيرجع إلى البيت الذي خرج منه ، لأنه بلا حياء . فإن
وجد أن الإنسان المتعمد مرتبط بالمسيح بحب وإهتمام . وهو

(أى المسيح) قائم وساكن فى المكان الذى طرح (الشيطان)
منه ، أى فى القلب يفشل فى الدخول ، ويرجع مرة أخرى .
ولكنه إن وجد مكانه السابق فارغاً لا يشغله أحد لعدم وجود
إهتمام بالله فيه أو تذكر له ، يدخل بسرعة وبخبط أشر من الأول
وتكون أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله .

تعمدت أن أطيل الكلام كى أحثك بكل قوة أن تداوم على
أن تجمع عقلك فى قلبك مع تذكر ربنا ومخلصنا ، والصلاة إليه .
عندما تسكون هناك مع الرب لا يجسر العدو أن يقترب ، وهكذا
تبقى منتصراً فى الضيقات التى تجلبها الأفكار والحركات الوجدانية
التي تهاجم القلب . وقبل كل شيء ، أقول لك ، استيقظ فى ذاك
والتهبه ، ولا تدع خيالك وذاكرتك يسترجعان أموراً كنت
وأيتها من قبل أو سمعتها ، أو استنشقتها أو ذقتها أو لمسها
شخصاً إذا كانت أموراً مخزية غير لائقة .

سهل أن تتفادى المعارك بالحرص والكنها تصعب جداً بعد
إستعمال الحواس . كل من يحارب يعرف هذا عن إختبار . إن
عدم موافقتك على تجربة حسية أمر يسهل حصوله ، ولكن بعد
أن وافقت عليها مرة واحدة فن الصعب ضبط الخيال والذاكرة
بعد ذلك . مثال لهذا : كونك ترى وجهاً ما أولاً تراه ، وكونك

تنظر إليه بشهوة أو بدون شهوة ، هذا أمر سهل ولا يحتاج إلى
مجهود كبير ، ولكن بعد أن ترى وتبصره بشهوة لا يسهل أن
تزيل صورة ذلك الوجه من العقل ، بل يحتاج إلى مجهود كبير ،
وجهاد داخلي غير هين ، ويستطيع العدو أن يلعب بك كما تلعب
أنت بكرة ، دافماً لإهتمامك من ذاكرة إلى أخرى ، ومثيراً كافة
الأوجاع التي ورائها . وهكذا يملك في حالة وجع دائم ...
لذلك أقول لك : تيقظ باستمرار ... وفوق كل شيء ،
راقب خيالك وذاكرتك .

† † †

جندى المسيح الذى يريد بعق أن يقهر أعداءه ،
عليه أن يتجنب كل عوامل القلق والاستثارة في القلب .

إن الشخص المسيحي ، عندما يفقد سلامه القلبي ، لا يستريح ولا يبدأ بل يعمل بكل ما في وسعه لكي يستعيد من جديد .
كذلك يجب عليه أن لا يسمح لأي حادث عارض في الحياة أن يزج سلامه كمرض ، أو جرح أو وفاة الأقارب أو الحروب ، الحريق ، الأفراح المفاجئة ، أو المخاوف والأحزان ، أو ذكر الخطايا السابقة وغلطات الحياة . وبالاختصار ، كل شيء يزج القلب ويثيره . إن حدثت مثل هذه الأشياء يلزمنا عدم الاستسلام لمشاعر القلق والاستثارة ، لأن الإرسال في هذه المشاعر يفقد الإنسان أعصابه وقدرته على تفهم الحوادث بوضوح ورؤية طريقة العمل السليم . وهذا يعطى فرصة للعدو لإثارة الإنسان أكثر فأكثر دافعاً إياه كي يتخذ معه خطوة يصعب أو يستحيل علاجها .

هذا لايعنى أنك تكون بلا حزن ، لأن هذا ليس في مقدورنا ، ولكن لا تجعل للحزن مكاناً في قلبك ، ولا تدعه يستثيره (قلبك) . بل لتكن أحزانك خارج حدود قلبك ،

وأسرع بتلطيفها وتصريفها كي لا تعوقك عن العمل المناسب
المعقول . فهذا في قدرتنا بقوة الله ، إن كانت مشاعرنا ومثلنا
الأخلاقية قوية فينا .

إن كل تجربة لها طابعها الخاص ، وتتطلب علاجاً خاصاً .
ولكي أنكم عن التجارب بصفة عامة آخذاً في الاعتبار جانبهم
المشترك - إذعاج وإثارة النفس ، جاعلاً في الأذهان طريقة علاج
عامة ضد جميعهم . هذا العلاج هو الإيمان بعناية الله الصالحة التي
تنظم منهاج حياتنا بكل دقائقها وبما فيها من حوادث عارضة ، الخير
كل واحد منا فليتنا أن نستسلم برضى لإرادة الله قائلين من حق
قلوبنا : فلتكن إرادة الرب كما يشاء الرب هكذا يكون ،
فهى لخيرنا .

يختلف الناس في مشاعرهم من جهة الخير الكائن في التجربة .
يمتد شخص أن التجربة هي لطف الله الذي يقوده إلى التوبة .
ويقول آخر : إنه بسبب خطايي قد أرسل الله لي هذه التجربة
كي أنتقي بها ؛ وسوف أحتمل قصاص الله العادل . ويظن ثالث :
إن الله يجربه كي يختبر مقدار أمانته . والبعض الآخر ينظر من خارج
نحو الإنسان المجرب مفكراً أن تجربته هذه قد أرسلت إليه كي
تظهر أعمال الله فيه . ولكن هذا الحكم لا يصدر إلا بعد انتهاء

التجربة ، وتكون معرفة الله واضحة في نفس الإنسان المحرب .
علينا أن نأخذ بالثلاث مشاعر الأول ، لأن أياً منهم فضيلة
لها قوتها في إخماد الحزن وإقامة السلام في القلب حينما تدخل إليه .
وهناك وسائل عامة توطد سلام القلب ، عندما تحاول
التجارب أن تعكره :

ثبت إيمانك في رعاية الله الصالحة نحوك ، باذلاً كل جهدك في
التفكير في هذا الأمر .

لأنفس في نفسك مشاعر التسليم والتكريس لإرادة الله .

أدخل إلى قلبك الأفكار المذكورة سابقاً وتمعن فيها كي
تشعر بأن التجربة التي تحس بها في هذه اللحظة مرسلتك كي
تقودك إلى التوبة ، بصفة عامة أم خاصة .

لما لتقودك إلى التوبة عن أفعالك الماضية المنسية . وبمجرد
أن يبدأ القلب في الإحساس بهذا الشعور ، يقل الألم فوراً ،
وتولد فيك المشاعر الأخرى (أى التجربة ربما تكون
قصصاً عن خطاياي أو لإختبار أمانتي في خدمة الله) وهذه
المشاعر معاً تعيد إليك سلامك وعزاءك بسرعة ، إذ أنك
يمكنك إلا أن تقول : ليسكن اسم الرب مباركاً إلى الأبد .

لأن هذه المشاعر في القلب المضطرب تكون مثل الزيت على
أمواج البحر: حيث يسكن الزيت الأمواج ويصير هدوءه عظيم.
فإن اضطرب قلبك بأى مقدار، حاول أن تستعيد سلامه،
لأنك بالمداومة على ذلك، مع محاولات روحية كثيرة تغرس
هذه المشاعر في قلبك: حتى يصل إلى الإمتلاء... حينذاك
لا تقدر أى تجربة أن تجعلك تضطرب لأن إستعدادك يصدها
بنجاح. أنا لا أعنى أن مشاعر الحزن لا تهاجمك على الإطلاق،
ولكن أقصد أنها ستأتى إليك وتراجع فى الحال كأمواج البحر
عند صخرة شماء.



ماذا نعمل ، لو جرحنا في معركة . . . !

إن إصابتك جرح بسبب إسلامك لخطيئة ما ، عن طريق
ضعف ، أو طبيعة أخلاقك الخاطئة (كلمة غير مناسبة خرجت
منك عفواً ، فقدت أعصابك مرة ، شيء ردىء خالج ففكرك ،
هرى شيء يستعمل فيك كالحى . . . الخ) ، فلا تفقد قلبك وتجعله
يسقط في السجن .

اشعر بضعفك

قبل كل شيء لا تعتد بنفسك وتقول : « كيف حدث هذا
لي أنا ؟ » ، إنها صرخة كبرياء وعجرفة . بل اتضع في ذاتك ،
وارفع عينيك نحو الله وقل بملء مشاعرك : « أى شيء ينتظر
من شخص ضعيف وخاطيء مثل يارب سوى هذا ، وأشكره بعد
ذلك إن الأمر لم يستعمل أكثر من هذا قائلاً : « لولا مراحمك
غير المحدودة يارب ، ماتوقفت عند هذا الحد ، بل كنت سأسقط
في أمور أردأ » .

لا تلتبس لنفسك الاعذار

لا يجب بأى حال أن تمزج هذه المشاعر مع إحساس
بالتساهل مع نفسك وتقع في طيافة الفكر بأنك أنت كما هو

أنت ، وهذا يعطيك الحق بالسلوك الخاطئ . لا ، لا . فإنه بالرغم من الحقيقة بأنك ضعيف وقابل للوقوع في الخطيئة ، ولكنك مذنب بالنسبة لكل الخطايا التي عملتها ما دامت لك إرادة حرة . فكل ما يصدر عنك يعرض عليها (على إرادتك) . وهكذا كل خير عمله يحسب لك وكل فساد يحسب عليك . فإلا حساس العام بأنك شرير لا يعفيك من إاداتك على شرك الخاص الذي سقطت فيه في اللحظة الحالية . احكم أنت على نفسك ولا تدن إلا ذاتك ... ذاتك وحدها . لا تنظر حولك باحثاً عن شخص تلقى عليه اللوم ، فلا الأشخاص ، ولا الظروف مسؤولة عن خطيئتك . إرادتك الرديئة هي الملامة وحدها ، لذلك لم نفسك .

احزن على الخطية

أيضاً لا تشبه بأولئك الذين يقولون : نعم ، لقد فعلتها ، ولكن ماذا في هذا ؟ ، لا ، بل إذ قد عرفت غلطتك ، بكت نفسك ، وواجه ذاتك بدينونة الله التي لا مفر منها ، واسرع لتلهب مشاعر التوبة ، أي ، انسحاق القلب والتذلل والندامة ، ليس من أجل إنحدارك أنت وحدهم نحو الخطية ، بل لأنك بخطيئتك أسأت إلى الله الذي أظهر لك لطفاً كبيراً داهياً إياك

للتوبة وغفران خطاياك القديمة ، واشترائك في نعم الأسرار ،
وارشادك ، وهدايتك في الطريق الصحيح كي تقدم فيه
عن طريق آب اعترافك .

من الأفضل أن تكون الندامة عميقة ، ولكن مهما كان عمق
هذه الندامة ، لا تدعها تلقى أى ظل شك من جهة الغفران .
فالغفران قد أعد كاملاً من قبل ، وصكوك الخطايا قد منحت كلها
على الصليب ، التوبة والندامة هما المطلوبان من كل إنسان يريد
أن يحصل على عمل ذبيحة المسيح الكفارية وينعم باستحقاقها ،
بهذا الانسحاق تقدم إلى أبيك الروحي واكشف له أفكارك
معتزلاً بخطاياك .

✠ نسمع منه كلمة تمزيك ويطلب من أجلك واثق أن الرب
قد تجاوز عن آثامك .

✠ اسجد بروحك وجسدك مؤمناً بهذا واصرخ : ارحمني
يا الله كعظيم رحمتك » (مز ٥١ : ١) . ولا تكف عن الصراخ
بهذا حتى تشعر أن نفسك مذنب ، وفي نفس الوقت مغفور لها
حتى أن الذنب والغفران يترجان في شعور واحد .

✠ هذه النعمة تحمل أخيراً على كل تائب . ولكن يجب أن
يلازمها قرار ، وتختتم بذور بأن لا تساهل مع أنفسنا في المستقبل

على مراقبتها بتدقيق ، ونحمي ذواتنا من كل السقطات كبيرة كانت
 أم صغيرة . مثابرين على الصلوات لطلب معرفة النعمة في كل
 ما نقوم به . فقد ثبت بالإختبار أن عدم إعتداد الإنسان على قواه
 ومحاولاته الشخصية ، يوجه قلبه طبيعياً إلى الإستغاثاة بالله
 « قلباً نقياً خلقه في يا الله وروحاً مستقيماً جنده في أحضانى ...
 هودى بهجة خلاصك ، وعصدي بروح حريتك (مر ١٠ : ١٠١) .
 عليك أن تمارس كل هذا - إدانة الذات ، الندامة ، الصلاة
 المملوءة رجاء في نوال المغفرة ، القرار الإلهامى لمراقبة النفس
 في المستقبل ، الصلاة من أجل النعمة لتثبت فيها في هذه المحارلات
 وفي كل وقت ترتكب فيه خطية بواسطة عينيك أو أذنيك أو
 لسانك أو فكرك أو مشاعرك . لا تترك الخطية في قلبك ولو
 لدقيقة واحدة دون أن تعترف بها . ولا تهمل تطهير قلبك بالتوبة
 الصادقة أمام الله .

أيضاً حتى لو سقطت مرة أخرى ، افعل نفس الشيء مرة
 أخرى ، وكلما أخطأت طهر نفسك في كل مرة أمام الرب .
 أخبر أهلك الروحى بكل هذا في مساء نفس اليوم إن أمكن ،
 وإن كان هذا غير ممكناً ، فأخبره عندما تحين أقرب فرصة ،
 لأن الاعتراف للرب الروحى بكل شيء مفيد جداً في محارباتنا
 الروحية .

لا شيء يكسر العدو القائل ويهزم جباله بفاعلية وتأثير
أفضل من هذه الطريقة . ولهذا يتوق العدو أن يعرفها بكل
الوسائل الممكنة داخليا وخارجيا :-

وإخليا ، بالافكار والمشاعر وخارجيا ، بخناق أسباب مختلفة
للقابلات وأحداث غير لازمة . ولكن مهما كانت العقبات ،
انظر من نفسك متى تمارس هذا العمل مكتشفاً حيل العدو .
سأذكر لك شيئا واحداً فقط : إن العدو بغيرة ونهضة شديدة
يقترح أن لا تبدأ في أعمال النقاوة الداخلية على الفور ، ويقول
لك حقاً إن الخطيئة ماحوطة ، ولكن انظر قليلاً فقط - ليس
ليوم ، ولا لساعة بل لبرهة وجيزة فقط : ولكن بمجرد أن
توافق على هذا يبدأ في خطيئة أخرى : - فبعد خطيئة اللسان ،
خطيئة العين ، أو ببعض الحواس الأخرى . بعد ذلك تهمل أعمال
النقاوة بالنسبة للخطيئة الجديدة شئت أو لم تشأ ، لأنه كان عليك
المفروض أن تنق نفسك من الخطيئة الأولى أولاً . ولأنك أهملت
تستمر خطاياك يوماً بطولها ، وتمتلئ نفسك بخطيئة بعد أخرى .
وعند المساء حيث تستبعد عادة أعمال التنقية والتوبة ، إذ
لا يرجع أدنى قابلية في النفس ، لأنها تكون ممتلئة بتشويش
وبحس وظلمة كثيرة بتأثير التعديات وتكون النفس آنذاك تماماً

حثل عين منقطة بالآثرية ، أو مياه معكرة بالآلوحال ، لا يمكن أن ترى أى شيء ، فتهمل التوبة بالكلية ، وتترك النفس موحلة ومدنسة ، وهذا يجعل صلاة المساء غير كاملة ، ويقود إلى أحلام وردية .

لذلك يا حبيبى لا تؤجل أعمال التقارة الداخلية أبداً ، ولو لبرهة وجيزة بل بمجرد أن تذهب لحظايا نفسك قم وتب .
+ لاقتراح آخر اعتاد الشرير أن يمترحه ، وهو أن لا تخبر أبوك الروحى بما حدث ... فلا تستمع لمدوك بل عارضه بشدة واخبر أباك بكل شيء حدث . لأنه كما أن الإعراف يتسبب فى خير كثير هكذا كتمان ما قد حدث فينا ومعا ينتج عنه حذر أكثر .

+++

ترتيب المعرفة التي يقبها العدو (الشيطان) ضدنا في المحاربات
الروحية وكيف أنه يفضل الناس بمحاولات داخلية مختلفة

اعلم يا حبيبي أن حرص الشيطان كله هو تخريب كل واحد
مننا ، واسكنه لا يستعمل طريقة واحدة في المحاربات ضدنا جميعاً
على السواء . ولكي أشرح لك هذا الأمر ، سأصف لك خمس
حالات داخلية لبعض الناس ، وحيل العدو المناظرة لها هذه
الحالات هي :

١- أن بعض الناس يستعبدون للخطية ، وليس لديهم أى فكرة
للتحرر منها .

٢- وآخرون بالرغم من تفكيرهم في التحرر ، لا يبذلون أى جهد
ليصلوا إليه .

٣- وهناك أشخاص أيضاً ، بعدما تخلصوا من إشكالات الخطية
وبلغوا الفضائل سقطوا مرة أخرى في الخطية بفساد أخلاقي عظيم .

٤- وبعضاً منهم يتوهمون بالرغم من كل هذا أنهم مازالوا متقدمين
نحو الكمال .

٥- آخرون يطيشون عن طريق الفضيلة إما بالإهمال ، وإما
بممارستها بحالات وظروف تحدث ضرراً لذواتهم .

والعدو ينصب فخاخه لكل واحد بحسب حالته وإستعداداته .

كيف يبقى الشيطان الخطاة في عبودية الخطية ؟

العدو يحذر النفس بلا رحمة

عندما يوثق الشيطان إنساناً في عبودية الخطية ، يحاول على وجه الخصوص أن يزيد ظلمته أكثر فأكثر ، مصيباً إياه بالعمى الروحي . ومنزلاً منه كل فكر صالح ، كي لا يقدر أن يتحقق من الضرر الذي أصاب حياته . ولهذا فلا يلاشى من قلبه كل الأفكار التي تقوده إلى التوبة فقط ولكن بدلاً عنها يغرس في قلبه أيضاً أفكاراً شريرة وفاسدة لتلا يسلك ذلك المسكين في طريق الفضيلة ... وفي الوقت نفسه يهيئ الشيطان له فرصاً كثيرة لإرتكاب الخطية التي صارت عادة بالنسبة له مغرياً ذلك الإنسان بالبائس للسقوط فيها أو في خطايا تفوقها شفاعاة ولمرات عديدة بقدر المستطاع ... وهكذا يدخل الخاطئ المسكين في ظلمة العمى أكثر فأكثر . هذا العمى يقوى عادة الإستجابة للخطية فيستمر خاطئاً ، وخاطئاً . متقادماً من فعل الخطية إلى عمى أعظم ، ومن العمى إلى خطايا أعظم ويدور البائس في هذه الدوامة . ويستمر في هذا حتى الموت ، ما لم ترسل له نعمة إلهية خاصة تخلصه .

لا تهمل فرصة للتوبة

إن وجد إنسان نفسه في هذه الحالة الخطيرة ، فالحكي يتحرر منها ، عليه أن يقبل أى فكرة صالحة بمجرد أن تعرض عليه ، ويستجيب فوراً لأى إقتراح (نداء) يدعو من الظلمة إلى النور، ومن الخطيئة إلى الفضيلة وينتبه بكل رغبة وبدون إبطاء لينفذ ذلك النداء فوراً بكل غيرة ، داعياً من عمق قلبه معطى البركات السخى « ساعدنى أيها الرب إلهى ساعدنى سريعاً » ، ولا تدعى أهم أكثر من ذلك فى ظلمة الخطيئة هذه ، ... عليه أن لا يكل من التوسل إلى الله بهذه الكلمات أو بما يماثلها . وفى نفس الوقت فليبحث عن مساعده على الأرض ، بالرجوع إلى أولئك الذين لهم خبرة فى إبداء النصيح والإرشاد إلى أفضل الطرق التى تحرر نفسه من رباطات العبودية الخاطئة الممسكة به . وإذا لم يتيسر تواجد مثل هؤلاء على الفور ، عليه أن يتحين أقرب فرصة ، وفى نفس الوقت لا يكف أبداً عن التضرع نحو الرب يسوع المصلوب عنا مشفعاً بأمه القديسة العذراء ، والملائكة والقديسين .

على الإنسان المغلوب بالخطايا أن يعرف بأن إلتصاره وغلبته على أعدائه يكون فى عدم التأخير ، والإستعداد السريع لإقتناص الوقت المقبول .

كيف يحتفظ الشيطان في شبكته بالذين نعتقوا
من خطورة حالتهم، وروغبوا أن يتحرروا . ولكنهم
لم يتحرروا . ثم ما هي الأسباب التي من أجلها
لا تتحقق نوايانا الطيبة غالباً .

أولئك الذين أدركوا أن مسلك حسانهم الشريرة
مورغم ذلك قد نجح الشيطان في الاحتفاظ بهم تحت قوته
مستخدماً لذلك هذا الاقتراح البسيط الفعال « أجل . . . أجل
غداً . . . غداً ، والخاطئ المسكين يتخدد بهذا الاقتراح
بالتأجيل لأنه غالباً مضطرباً بميل ظاهري صالح فيقرر في نفسه
« نعم غداً أفضل لأنه اليوم على أن انجز بعض الأعمال فعندما
تنتهي منها أصير بلا هم ، وبعد ذلك ، سأضع نفسي بين يدي النعمة
الإلهية ، وسأبمع طريق الحياة الروحية بلا انحراف . . . اليوم
سأفعل هذا أو ذاك ، وغداً سأرتب ،

هذه هي شبكة الشيطان يا أخى التى يصيد بها كثيرين ،
ويمسك بها أهل العالم في يديه . وهذه الشبكة توقعنا بسهولة في
التراخي والعمى ، فيصير خلاصنا ، ونعمة الله لنا في خطر . لأننا
لا نستخدم فوراً السلاح السهل البسيط الفعال أعنى : أن نقول

لأنفسنا بكل تصميم وحرارة . وسأبدأ الحياة الروحية هذه
اللحظة ... هذه اللحظة ، وليس فيما بعد ، سأتوب الآن وليس
في الغد ... الآن ، هذه اللحظة في يدي ، الغد وما بعده في يدي
الله . وحتى لو ضمن لي الله الغد وما بعده ، هل يمكن أن أناكد
أنني سأنال في الغد نفس دافع الخير لإصلاح طريقي ؟ . ألا
يكون مثل هذا التأجيل جنوناً !! كالمريض الذي يقدمون له
دواءً أكيداً لعلاج وشفائه ثم يقول : أنتظروا ، دعوني أمرض
لفترة قليلة أيضاً !! ، هكذا الإنسان الذي يؤجل عمل خلاصه
فهو يفعل نفس الشيء .

لذلك إن أردت أن تتحرر من إقتراحات عدوك الخبيثة ،
أشهر في وجهه فوراً هذا السلاح البتار ، واطع أفكارك الصالحة
فوراً وبلا إبطاء ، واتهم الفرصة التي أتاحها لك الرب ، داعياً
إياك لتتوب . لا تسمح لنفسك أن تقول : لقد صممت بحزم
أن أتوب ، ولكن بعد وقت قليل ، فسوف لأعمل هذا الميل .
لا لا فشل هذه التصميمات قد ثبتت خداعها . لقد اعتمد عليها
كثيرون من الناس وما زالوا في عدم توبتهم إلى أن انتهت حياتهم
وهم غير تائبين ...

وهذا يرجع لعدة أسباب :

أولاً : أول هذه الأسباب هو أن تصميمنا الشخصى لا يستند على إكمال كل على الله وإنكار الذات . فحين لم نتخل عن تعظيم أنفسنا ، والنتيجة الحتمية لهذا هي رفع بركة المعونة الإلهية عنا ، وفي هذه الحالة يكون السقوط أمراً حتمياً . هذا هو السبب في أن الإنسان الذى يقرر في ذاته قائلاً « غداً سأحيد عن طريق الخطية بالارجوع ، غالباً ما يصل إلى نتيجة عكسية - أى بدلاً من قيامه ، يسقط إلى أوداً من ذى قبل ويتوالى سقوطه مرات عديدة . إن الله يسمح أحياناً أن يحدث هذا عمداً ، كي يعرف ذلك الإنسان المعتمد بذاته بضعفاته ، ويوجهه هذا للبحث عن المعونة الإلهية ، تاركاً كل اعتماد على النفس ومهمللاً لكل ثقة في ذاته ، واثقاً في معونة الله فقط .

هل تريد أن تعرف أيها الإنسان متى تتحقق قراراتك بكل حزم ؟

عندما تترك كل اعتماد على نفسك ، وتضع كل رجائك بائضاع وثقة على الله وحده .

ثانياً : والسبب الثانى هو أننا أثناء تصميمنا على هذا القرار نكون غالباً ناظرين إلى جمال الفضيلة وبيائها تلك التى اجتذبت الارادة إليها، ومن الطبيعى في هذه الحالة أن تغيب عنا الجوانب

الصحة في هذه الفضيلة . فالיום لا نلاحظ الجانب الصعب في الفضيلة ، حيث أن جمالها يجذبنا بقوة ، أما الغد ، حينما نخاط بأعمالنا المعتادة وإهتماماتنا الكثيرة ، ثقل الجاذبية رغم وجود النية ، وهكذا تضعف الرغبة وبالتالي تضعف الإرادة أو تنكس نحو الإهتمامات الأخرى . وفي نفس الوقت لا يأسر بصرنا من الفضيلة إلا جانبها الصعب ، لأن طريق الفضيلة صعب بطبيعته والخطوة الأولى فيه ، هي أصعب ما فيه .

إفرض أن شخصاً قرر بالأمس أن يدخل هذا الطريق (أى طريق الفضيلة) وبدلاً من أن يتم هذا القرار اليوم فعل نفس الشيء ، (أى إكتفى بقرار آخر) فهو لا يشعر بأى قابلية لتنفيذ قراره . لأن الرغبة قد فقدت شدتها ، والإرادة قد ضعفت ، ولا يرى سوى للعقبات - من نفسه ، أو من مناهج حياته العادية أو من علاقاته مع الآخرين - وهكذا يقرر : « سأنتظر قليلاً واستجمع قواي » وهكذا يدوم منتظراً من يوم إلى يوم ، ولا يحب إن انتظر حياته كلها . فرغم أنه بدأ العمل بالأمس ، عندما ألهمته الرغبة أن يصلح طريقه إلا أنه لم يعمل شيئاً واحداً لاطاعة هذه الرغبة ، ولم يدخل في حياته أمراً واحداً بهذه الروح لذلك أصبحت إرادته من الضعف بحيث تراجع أمام العقبات ،

لا بد أن تكون هناك عقبات ، ولكن إن كان في الإنسان ميلاً عليه أن يزيلها ، لا بد أن يتغلب عليها . فإن شغل نفسه طيلة اليوم بالتغلب على هذه الصعاب ، سيذهب في اليوم التالي ، أن العقبات أقل بكثير ، وفي اليوم الثالث أقل جداً ، وبالإستمرار أكثر فأكثر يكون قد قام في الطريق الصحيح .

ثالثاً : السبب الثالث هو أن اليقظة المباركة من نوم الخطيئة لم تترجم إلى عمل فعلي . حينئذ لا تتكرر هذه اليقظات مرة أخرى . وحتى إن حدثت يكون تأثيرها على الإرادة أقل قوة من الفرصة الأولى ... أي أن الإرادة لا تسرع في الميل نحوها كما كانت قبلاً . والتصميم يفتر أيضاً ويحتاج إلى طاقة منشطة . فالذي لا يطعم هاتفاً قوياً جاءه اليوم ، مؤجلاً هذه الطاعة الغد ، فما أسهل أن يكرر هذا التأجيل مرة ثانية لأن الهاتف يصفف ، ويكون التأجيل أكثر سهولة في المرة الثالثة وهكذا تسير الأمور كلما تركت طاعة الهاتف الصالح غالباً ما يصفف تأثيره ، وبعد وقت يفقد تأثيره بالكلية أي أنه يأتي ويذهب بلا أثر ، وأخيراً يسكف عن المجيء نهائياً ، ويسلم الإنسان ذاته للسقوط ، فيتقضى قلبه ، ويحس بالفور من الهاتفات الصالحة ، وهكذا يصير التأجيل طريقاً مستقيماً نحو هلاك النفس الأبدي .

عن يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل

سأضيف أيضاً أن حدوث التأجيل ليس ضرورياً بالنسبة
للتهافت الداخلية لتغيير الحياة من الفساد إلى الصلاح ولكن
أيضاً عندما يكون الإنسان سائراً في حياة صالحة ، ونحن له
فرصة لعمل صالح فيؤجلها الإنسان إلى الغد أو لوقت آخر ...
في هذه الحالة يمكن أن نطبق أيضاً كل ما قيل سابقاً .

أعلم أنه إن ضيع الإنسان فرصة لعمل خير ، فهو لا يحرم
نفسه فقط من ثمرة الخير ولكنه يسيء إلى الله ... فلو أرسل الله
إنساناً محتاجاً وقال له : اذهب ... بعدين ! فرغم أن قوله هذا
موجه لإنسان إلا أنه في نفس الوقت يقوله الله الذي أرسل له هذا
المسكين . إن الله سيرسل للمسكين محسناً آخر يتكفل بحاجته ،
أما الإنسان الذي رفض فسيسأل عن ذلك .

† † †

في مكاييد العدو التي يستخدمها ضد الدين ابتدأوا السير في الطريق الصحيح

لو تغلب إنسان على العقبتين السابقتين ، وامتثل بالرغبة في التحرر من رباطات الخطيئة، وابتدأ هذا العمل فعلاً بدون إبطاء فالعدو لا يتركه أيضاً . إنه يغير خططه فقط وليس رغبته وأول ذلك هو أن يحمل الإنسان متعثراً في صنخور التجارب حتى يحطمه .

يصف الآباء القديسون مثل هذا الانسان كأنه محاط بالنيران من جميع الجهات : من فوق ، ومن أسفل ، من اليمين ومن الشمال ، من الأمام ومن الخلف ، وتصوب نحوه سهام من كل مكان .

+ فالسهام العلوية هي إغراءات بأعمال روحية زائدة فوق قوته .
+ والسهام السفلية هي إغراءات للإفلال أو حتى ترك كامل للأعمال الروحية بواسطة الإشفاق على الذات والتراخي والطيشة .

+ السهام اليمينية هي التجارب التي تأتي للإنسان عن طريق أعماله وعماراته الصحيحة حيث يستغلها العدو ليهتودنا إلى هوة السقوط .

† **والسهم الشمالية** هي التجارب المحددة الواضحة الشر التي يجلبها العدو ليحذب الإنسان نحو الخطيئة .

† **السهم الامامية** عندما يجرب العدو الإنسان ويرجعه بالافكار عن المستقبل .

† **والسهم الخلفية** هي عندما يجربه العدو بذكريات الماضي بما فيه من أفعال وأحداث ١١ .

كل هذه الافكار والتجارب تهاجم النفس إما داخلياً أو خارجياً :

داخليا : عن طريق صور و خيالات الفطسة المطبوعة عقلياً في الاحساس ، أو عن طريق مشورات شريرة مباشرة يرسمها العدو في القلب . مصحوبة عادة بالتأثيرات الوجدانية .

وخارجيا : عن طريق الانطباعات الساخرقة من الحواس الخارجية في تيار لا يتوقف ... زيادة على ذلك ، فإن أعداءنا لهم حلفاء من عاداتنا الخاطئة الاولى ، ومن طبيعتنا التي فسدت سقوط الإنسان الاول ، وإذ لهم وسائل عديدة لا يذائنا بها ، فهم لا يكونون من أول هزيمة ، بل يجربون فينا وسيلة أخرى كي يثوموا ويضللوا خادم المسيح الذي ابتعد عن نفوذهم .

الاعتماد على الذات

بعد أن يقدر الانسان تركه لطرقه الرديئة ، ويتركها فعلا ، فأول عمل للشيطان هو أن يكتشف فيه نقطة ضعف أخرى - غير الأولى ينفذ منها إليه ويوهم الانسان الذى دخل الطريق الصحيح أنه صديق يعمل لصالحه ، وينصحه ألا يذهب إلى معلمى حياة البر المربطين دائماً بالكنيسة ليأخذ منهم النصح والارشاد فلا تصدق عدوك ، لأن العدو لا يقترب من إنسان يسلك في كل أموره الخارجية والداخلية بحسب تدبير معلمين صالحين - الكهنة بالنسبة للعلمانيين والشيوخ المختبرين في الأديرة . ففي هذه الحالة سترى المعلم المختبر الذى للأب الروحى على الفور كل الاقتراحات والمشورات إن كانت من مكائد العدو أم من الله وينبه تلميذه . ولكن إن أشاح إنسان بوجهه عن معلميه فسرعان ما يبلبل العدو أفكاره ، ويضله . وهناك أمور كثيرة تظهر صالحة لشر كما نرى فيها... مثل هذه الأمور يشير بها العدو فيتمتع المبتدئ ويسقط في الفخ معرضاً لآخطار عظيمة ، وربما يهلك بتمامه .

الغزو في بدء الطريق

والطريقة الثانية التى يستخدمها العدو هو أنه لا يكتفى بترك المبتدئ بغير مشورة ، بل يجعله أيضاً بلا معونة . إن الانسان

الذى قد إحتقر كل نصيح وإرشاد في حياته، ويسلك بحسب هواه ،
يصل في أنكاره إلى الاستغناء عن المعونة الخارجية - حتى الإلهية
في تدبير حياته وأفعاله بالطريقة الصحيحة . وهنا يسرع العدو
في خطيته ، وذلك بإخفاء نفسه والكف عن الهجوم على المبتدئ
وحينما يشعر المخدوع أنه صار حراً ومعتوقاً من الأوجاع ،
يبدأ في الظن بأن حالته الصالحة هي ثمرة مجهوداته ، وهكذا يستمر
فيها . وعندما يتلوصلواته عن طلب المعونة الإلهية يغمغم بها من
أسنانه كأنها كلمات مجردة بلا معنى . إنه لا يفكر في المعونة ولا
يطلب إتيانها ، وهكذا يترك المبتدئ لمشورات نفسه وهو ...
ومثل ذلك الإنسان ، فريسة سهلة للعدو .

فمن نتائج الغرور - إن بعض الناس يمارسون واجبات زائدة
لم يأت أوانها بعد أو فوق طاقتهم . والاعتداد بالنفس يولد
فيهم قوة نشاط زائدة تجعلهم ينجزون هذه الأعمال لوقت ما ،
ولكن بعد ذلك الوقت يُجهّد قواهم ، وبالكاد يقدرّون على القيام
بالمجهودات المتوسطة ، وغالباً ما يملونها بالكلية .

آخرون إذ تشتعل إرادتهم الذاتية أكثر فأكثر ، يتوهمون
في غرورهم بأن كل شيء يمكن لديهم . وفي حالتهم المضطربة الغير
طبيعية يتخذون خطوات مشؤمة :

بعض المخدوعين ألقوا أنفسهم في آبار جافة ، وأحسبوا
تفوزوا من فوق صخور عالية حيث كانت مغاراتهم ، والبعض
امتنع عن تناول الأطعمة نهائياً وهكذا ... وظهر أخيراً أن كل
هذا من ترتيبات العدو ، ولم يدرك ذلك الإنسان المغرور
والنتيجة الأخرى للمرور ، ونسبة كل نجاح إلى الذات ،
هو افتراض أن الإنسان حر ليعطى لنفسه حلاً ، أو تخفيفات في
ممارسته الروحية . لا شك أن الإنسان عندما يدخل إلى حياة
جديدة يتقبله نوع من عدم التكيف للوضع الجديد . فتلا
الإنسان التائب حديثاً ، تمر الأيام عليه كشهور ، والأسابيع
كسنين . هكذا بعد قيام الإنسان بمجهودات قليلة في تنظيم حياته ،
يدق العدو بسهولة على رأسه موهماً إياه ، لقد اشتغلت بشدة ،
وصمت طويلاً ، وقضيت ليالي كثيرة بلا نوم ، وما الوقت الآن
لتأخذ راحة ويقترح عليه العدو استرح قليلاً ، واعطِ فسحة
لجسدك ، وبمجرد أن يستسلم المبتدئ العديم الخبرة لهذا التراخي ،
والتراخي يقبضه تراخي إلى أن ينقلب نظام الحياة كلها ، ويعود
إلى الحياة الشريرة التي تركها عائشاً في الرخاوة مرة أخرى ،
والطياشة من جديد ، ولا يشمر عن ساعد الجدة مرة أخرى .
هذه التحارب (عدم اتباع نصائح ومشورات الآخرين ،

ونسبة النجاح إلى النفس ، وممارسة أعمال زائدة ، وإعطاء فترة
تراخي) يستخدمها العدو ليس في بداية الحياة الصالحة فقط ،
بل في أثناء سيرها كلها . فانظر أنت بنفسك كم يلزمك أن تعمل
كل شيء بمشورة . ولا تنسب أى نجاح - مهما كان صغيراً أو
كبيراً - إلى خدماتك وهمتك ، وتجنب كلاً من الزيادة ، والتراخي
في السلوك الروحي حتى ولو ظهرت حياتك نشيطة وحية بهذه
الزيادة ، أو ذاك النقصان . واتبع نظم وقوانين القديسين الذين
هاشوا قبلك ، والأحكام الصالحة للخبرين الذين يعيشون في
حصرك .



كيف يعول العدو الإنسان عن الأعمال الصالحة ويفسدها له

إن مكاييد العدو التي ذكرناها في الفصول السابقة ، تقلب نظام الحياة الصالحة للإنسان رأساً على عقب . فإن جاهد الإنسان ، وقاوم كل هذه المكاييد وسلك في الطريق الصحيح بلا انحراف يمتنع له العدو مكاييد وحيل أخرى ، ويضع في طريقه عثرات متنوعة . لأنه في هذه الحالة لا يعمل ضد حياة الإنسان بوجه عام . ولكنه يوزع خططه ضد كل عمل مسيحي يقوم به الإنسان . كل عمل له خطية مضادة على حدة . لكي يجعل ممارسته لهذا العمل أو ذاك غير موافقة لإرادة الله .

منذ اللحظة التي نفتح فيها أعيننا في الصباح ، بعد النوم ، إلى اللحظة التي نغفلها مرة أخرى عند الليل ، ونحن مشغولون بألوان من النشاط المتتابع ، عمل ينتهي وآخر يجيء ، ولا توجد لحظة فراغ واحدة . ففرض أننا في يقظة دائمة ومنتهين إلى ذواتنا ولنا مرضى بالكسل أو التراخي ، وبفرض أن عقلنا وقلبنا مرفوعان دائماً لله بالصلاة ، وعلاقتهما مع الآخرين تكون في حب وصدق ، وبفرض أيضاً أننا نحاول أن نوازن جيداً بين الجسد والنفس بالنسبة للأعمال والإماتات . بل أيضاً في شؤون

الحياة البرية بالنسبة للعلمانيين ينبغي أن تكون موجهة كـ
 للوصول إلى الخلاص في حرص شديد وانتباه وحرارة - لأن
 الله يساعد الجادين في ممارسة كل شيء على الوجه الصحيح ويرسل
 نعمته إليهم ويضمنهم في حراسته بواسطة الملائكة وصلوات
 القديسين - يفرض أن كل هذا موجود ، ولكن العدو لا يفشل
 أبدا عنا . انه لا يبدأ عن أن يزعج سير حياتنا الهادية مع الله .
 يحاول أن يضللنا عن كل شيء صالح نفعله ، ويحولنا إلى أعماله
 الشريرة : فإما أن يسرع لكي يوقفنا عن ممارسته ، أو عندما
 نكون قد بدأنا يتدخل كي يعرقل تقدمنا ، وإذا فشل في هذا
 يشق أن يجعل نتائج هذا العمل الصالح بلا إستحقاق ؛ وإذا
 قاسى الهزيمة في كل ما سبق يصمم خطأ لينزع من العمل كل قيمة
 في هينى الله بإثارة المجد الباطل والوهو .

القديس يوحنا الدوجى يتحدث عن هذه الخيل كلها فيقول :
 « بالنسبة لكل المحاولات التى نحاول بها أن نرضى الله ، تحفر
 الشياطين ثلاث حفرات لنا ، .

+ الأولى : يحاولون أن يوقفوا ممارسة العمل الصالح .
 + الثانية : إن إنهمزوا في هذه المحاولة الأولى ، يحاولون أن
 يجعلوا أعمالنا ليست بحسب مشيئة الله .

† الثالثة : عندما يفشل هؤلاء اللصوص في هذا أيضاً ،
يسلمون النفس بلا ضجة وذلك عن طريق تملقنا بأننا قد أرضينا
الله في كل ما عملناه .

التجربة الأولى تقاوم بالغيرة المتسوقدة وتذكر الموت ؛
والثانية : بالطاعة وإستصغار الإنسان لنفسه . والثالثة : بالقاء
الدم على النفس وتبكيتهما دائماً « فلما قصدت معرفة هذا إذا هو
تعب في عيني . حتى دخلت مقدس الله وانتبهت الى اخرتهم »
(مز ٧٣ : ١٦ ، ١٧) .

وعندما تدخل النار الإلهية في مقدسنا ، لا تقوى علينا
العادات الشريرة « الهنا ناول آكلة » (عب ١٢ : ٢٩) . بلتهم كل
إثارة وحركة للشهوة وكل عادة شريرة ، كل قساوة وكل ظلمة داخلية
أو خارجية في النظر أو الفكر .

لا يستطيع قلم أن يصف كل حيل العدو ومسايله ، لأنّبه في
ذاتك . ووجد ذهنك في الغرض الواحد وهو أن ترضى الله في
كل صغيرة وكبيرة . وحينئذ ستعلمك الحياة ذاتها أن تميز وتعتبر
مكابد العدو . على أية حال سأعطيك مثلين أو ثلاثة للسجس
الذي يحدته العدو لنفوسنا كي يفسد علينا أعمالنا ، إن كانت هذه
الأعمال تستمر وقتاً ما :

إن قرر شخص مريض أن يحتمل مرضه بقلب راضٍ وفعل

هكذا ، فالعدو إذ يرى أن هذا الشخص سيصير بهذا العمل راسخاً في فضيلة الصبر ، يحاول أن يثير الاضطراب لثنيه عن عزمه الصالح . ومن أجل هذا الغرض ، يبدأ في أن يذكره بأعمال صالحة كثيرة كان يمكنه أن يقوم بها لو كان بصحة جيدة ، ويحاول أن يقنعه بأنه كان يمكن لو أنه في كامل صحته أن يعمل الكثير لخدمة الله لفائدة نفسه والإخوة أيضاً ، كان يمكنه أن يذهب إلى الكنيسة مثلاً ، وأن يعظ الناس ، أو يقرأ ويكتب لبنيان الآخرين ... الخ . وحالما يلاحظ العدو أن هذه الأفكار مقبولة ، يملأ بها ذهن الشخص أكثر فأكثر ويعدد صورها ويخرفها ، ويجعلها تمتلك الأحاسيس وتولد الآهواء والاضغطات المرافقة وتصوير مدى النجاح الذي سيكون من هذه الأعمال أو غيرها ، فيقول في الشخص شعور الأسف لأنه مريض ومربوط القدم أو اليد . ورويداً ورويداً يتحول هذا الأسف إلى تدمير وعدم رضى تحت تأثير التكرار المستمر لمثل هذه الأفكار والحركات الداخلية في النفس . وهكذا ينقلب ما عزم عليه المريض من الصبر بقلب راضٍ . وبدلاً من قبوله لمرضه كدواء مرسل من الله وفرصة ليتدرب فيها على فضيلة الصبر ، ينظر إلى المرض كشئ معطل لعمل خلاصه . وهكذا تصير رغبة الشخص للتحرر

من المرض بلا ضابط رغم أنها لم تزل ذات غرض صالح وهو
إتمام الأعمال الصالحة المرضية عند الله في كل طريق . وإذا قد
انحرف الإنسان المسكين ، هكذا بعيداً ، يسلب العدو ذلك الغرض
الصالح من قلبه وعقله وتكون رغبة في الشفاء من أجل الشفاء
ذاته وينظر إلى مرضه بضيق واشمئزاز ، ليس كمعوق للخير ولكنه
كشر في حد ذاته . ونتيجة لهذا يصل عدم الصبر إلى أقصى مداه
ويتحول إلى شكوى ، إذ لم يتهدب بالافكار الصالحة ، وهذه
الشكوى تنزع السلام من المريض ، ويفرح العدو لأنه قد فكر
صفاءه وفوت عليه فضيلة الصبر بقلب راض .

وبنفس الطريقة تقريباً ينقض العدو على الفقير القانع بتسليمه
مصوراً له مقدار أهمال الخير الجلية التي كان يمكنه أن يقوم بها
لو كانت له ثروة . وبطريقة مشابهة يحكر العدو هدوء السالكين
تحت الطاعة ، سواء في دير أو في شركة محبة مع آخرين . فتمتاعاً
إياهم أنهم سيكونون بطيئى النمو في الوصول إلى الكمال المطارب
إن هم استمروا في حمايتهم على هذا المنوال (أى تحت الطاعة) .
ويغريهم بطريق الوحدة والعزلة في البرارى . وغالباً ما ينفذ هذا
الإقتراح ، ولكن بعد أن تتحقق رغبته في الوحدة يترك نفسه
للتواني والتراخي والكسل وهكذا يفقد ما قد بلغه ، بعد جهده

شاق ، في حياته الأولى تحت الطاعة . والعكس أيضاً يحدث ،
حينما ينجح العدو في إخراج شخص في وحدته وعزلته . مقنعاً
إياه أن جلوسه في الوحدة بلا فائدة لنفسه أو للآخرين بينما إن
نزل إلى الخدمة ستمتلك حياته بكثير من الأعمال النافعة له
والآخرين . ولكن عندما يستجيب إنسان لهذا الإغتراف ويدخل
ديراً أو ينزل ليعمل في العالم ، فإنه لا يقوم بالأعمال المفيدة التي
كان يأمل أن ينجزها بل وسرعان ما يفقد ما قد حصل عليه في
البرية ويصبح صفر اليدين .

توجد حالات مشابهة كثيرة ، ينجح فيها العدو في إغراء
إنسان لتغيير وضعه وتبديله بوضع آخر تحت زعم أنه أكثر
فائدة وهكذا يشتت شخصاً بطريقة وآخر بطريقة أخرى .

إن الإنسان الذي يسلك في حياته بتدبير معلمين مختبرين
ومشيرين صالحين يعمل بمشورتهم ، وبطبيع كل ما يشيرون به
عليه في تسليم كامل وإلتضاع تام ، ينجو بسهولة من مثل هذه
التجارب . ولكن إن كان لسبب ما قد عدم شخص هذه البركة
فعليه أن ينتبه إلى ذاته ويتعلم أن يميز تماماً بين الخير والشر على
خوض المبادئ المسيحية التي تركز عليها حياتنا . إن كانت
الظروف التي تبدو لنا أنها عائق أمام طريقنا لفعل الصلاح ، لم

نختارها نحن بإرادتنا ولكنها مرضلة من قبل الله فالواجب أن نرضخ لها بكل خضوع ، ولا نسمع لأى إقتراح يردنا عن هذا الخضوع . فعندما يرسل الله لك مثل هذه الظروف فهو لا يريد منك أن تدبر نفسك ، وتسلك بحسب ما تقتضيه الظروف في حدود الإمكانيات الميسرة . فسواء كنت مريضاً أم فقيراً أو احتمال هذا فالله لا يريد منك سوى أن تحتل ، وتحتل بقلب صالح ومشغول دائماً فى عمل الخير فتى نظر الله لك سيعبد أنك تعمل وتعيش بطريقة صحيحة ... وبوجه عام ان كنت تريد أن تغير وضعك فانت تريد أن تغير الاحسن بالأردا .

ولكن إن وجدت نفسك فى وضع يبدو أنه يحجب عنك مجالات الاعمال الصالحة الممكنة بالنسبة لك . وأن هذا الوضع أتى نتيجة لرغبتك الشخصية . لذا ، فطالما أنك قد اخترته ربما لغرض ما ، فارتبط أنت بهذا الغرض ، ولا تدع أفكارك تقتصر فى أشياء أخرى مختلفة ، بل إرتبط دائماً بالهدف الواحد لما يمكنك أن تعمل فى وضعك واستمر ثابتاً هناك . وهكذا كمل الاعمال المتصلة به بهدوء مقتنعاً تماماً أنك إن نسبتها إلى الله بدلاً من الاعتماد على النفس ، سوف لا يكون الزمن المنصرف هناك ضائعاً هباءاً . ولكنها ستكون مقبولة أمام الله كخدمة كاملة . ودُم أنت فى سلام .

كيف يفسد العدو الفضائل ذاتها ويجعلها محسوبة على من يمارسونها

عندما يشمل العدو

ونفترض الآن أنك تسلك طريق الفضيلة بحق وإخلاص ،
وبلا إنحراف نحو اليمين ، أو نحو اليسار ؛ لا تتخيل أن العدو
سيكف عنك... أبداً ! لقد سمعت من قبل الاقتباس الذي أخذته
من القديس يوحنا البرجي . ذلك بأن العدو حين يرى أن
محاولاته كلها قد بادت بالفشل ، ولم يقدر أن يوقعك في الشر ،
يبدأ في ملاحقتك بتلصص وتملقك هامساً في أذنيك ما قد
أرضيت الله بحياتك ، هذه هي تجربته الأخيرة . والاستجابة التي
تحدث نتيجة لتلقه هذا هي الإحساس بالعجب والزهو ، والشعور
بالإلامية الذاتية والرضى عن النفس . تلك الأمور التي تولد المجد
الباطل والكبرياء . فالجند الباطل يسلب من أعمالنا كل قيمة حتى
ولو كانت أعمالاً صالحة ، أما الكبرياء فيصيرنا مُبغضين من الله .
لذلك ، نبتغز يا حبيبي وأطرد تملقات العدو ولا تسمح لها أن تصل
إلى قلبك برفضك إياها من أول لحظة تلمس فيها أذنيك . لكي
تتجنب هذا الشر الذي يهددك ، اجمع عقلك في داخل قلبك ،

وكن على استعداد دائم لصد سهام العدو . قف هناك في الداخل
كفائد في ميدان القتال ، واختر موقعا دقيقا لتقود منه المعركة
وحصنه تماما ولا تفارق هذا الموقع ، وتحصيناته ، وعتاده الحربى
هو شعورك العميق بأنك لا شيء ، وأنتك بالحقيقة فقير وأحمى
وعريان ، وأنتك غنى فقط في الضعفات والأخطاء والأعمال التى
تستحق اللوم ، والحماقة ، والباطل ، والخطيئة . وعندما تأخذ
هذا الموقع لا تسمح لعقلك أن يتجول خارج حصنك ، وبنوع
خاص اجعله يكف عن إرتياد حقولك وبساتينك المثمرة
ظاهريا ، أى أعمالك الصالحة . فلو داومت على هذا التدريب
لا تمسك سهام تملق العدو المسمومة ، وحتى وإن حدث أن
واحدة من هذه السهام وصلت إليك ستردها حالا وتصددها
وتلقيها بعيدا .

معركة في القلب ضد فكر العدو

كذلك مثل المحاربين في حصن المعسكر ، لا تكسل ، ولكن
لتواصل تداريبك الحربية أو لتتجهز وتقوى تحصيناتك . وعليك
أيضا وأنت في عمق هذه المشاعر أن تشير بأنك لا شيء . وبأكثر
تحديد لإفعل ما يلى : أعلم أنك مهما ضبطت عقلك بنظم ، يستمر
في الشرود والحرب ، ولا عجب إن كان في جوارحه يرتاد إلى

أعمالك التي تبدو ظاهرياً أنها صالحة وعند ما يبلغها يمسك بها العدو فوراً ويمزجها بالزهو والعجب بطريقة تجعل العقل يميل بذاته إلى جانب العدو ، وعند رجوعه يحاول أن يجذبك معه . فبمجرد أن تلاحظ هذا ، إجمع ذهنك إلى ذاتك وقل له اسمع أيها العقل : أنت دائم على أخباري بأن هذا حسن وهذا غير بطل . ربما يكون الأمر كذلك ؛ ولكن ما فائدة هذا بالنسبة لي ؟ كنت على وشك أن تمدحني ، حسناً ، ها أنا سامعك ، تنفي بمدحي . ولكن إعلم أن العدالة تتطلب منك أن تمدحني على أعمال الخاصة فقط ؛ أما بالنسبة للأعمال الآتية من الله ونعمته فليكن المديح والفكر فيما لله . لذلك دعنا نفحص ما يخصنا وما يخص الله ولننسب إلى الله الأعمال الآتية من الله ، ونحتفظ لأنفسنا بما لنا . حينئذ نعرف قيمتنا ومقدارنا - إن كان باقياً لنا شيء ، يستحق أن نمدح أنفسنا عليه ، هيا لنبدأ ، لنلق نظرة على ذلك الزمان قبل وجودنا . أين كنا وقتئذ ؟ كنا لا شيء ، وغير قادرين على عمل أي شيء . فأى شيء عملناه استحقنا به نعمة وجودنا من مصدر كل حياة ؟ إذن فوجودنا هو عطية مباشرة من الله ، إن هبة الله إلحية ، وهذه هي البداية ثم بعدما لنا كل النعم اللاحقة بالمنوحة لنا من مراحم الله غير المحددة . فلننسب هذا إذن إلى الله .

هم بدأنا أن نعيش . كيف ؟ نحن أنفسنا لا نعرف . فحين
 لم ندر بوجودنا سنياً عديدة في مستهل حياتنا ، رغم أننا كنا
 موجودين فعلاً وبعد أن شعرنا بالوجود ، لم تكن قادرين آنذاك
 أن تقوم بأود حياتنا . ولكن أعنت بنا أيادٍ وهذا ليس من
 أنفسهم بل بدافع العناية المغروسة فيهم من رئيس الحياة
 والوجود وهكذا نشأنا وترعينا وترعنا ووقفنا على أقدامنا .
 ولم تكن سبباً لاي شيء من هذا لذلك فلنضع هذا جانباً أيضاً .
 حينئذ بدأنا أن نعيش معتمدين على أنفسنا . ولكن ما هو
 الذي لنا في أنفسنا ؟ انها قوتنا الحيوية ، ووسائل عمائشنا : وهذه
 ليست منا ، انها عطية أيضاً من الله . فالمعرفة المباشرة عن الله
 هبة منه ، كذلك الضمير هبة من الله ، وأيضاً العطش الى الحياة
 السماوية هبة من الله . هؤلاء الثلاثة يتحدسوا في حياتنا ويدفعونا
 نحو السماء . أنت يا عقلى لست مني : لقد أعطيت لي من الله .
 فكل قواى الحيوية - أى الإرادة ، بكل طاقاتها - ومشاعرى ،
 والقدرة على الاستمتاع بالحياة وكل ما حولى لا ينسب الى .
 جسدى بكل وظائفه وغرائزه التى تحدد وجودى الطبيعى الحسن
 هذا ليس لي أيضاً لانه بكل ما فيه موهوب لي من الله . وأنا
 ذاتى لا أنسب لنفسى بل لله . فعندما أعطانى الله الحياة زودنى

بتركيبات معقدة للطاقات الحيوية التي في وأعطاني الضمير
والحرية . لقد رأى أن أسود على كل ما في تبعاً لوظيفة وقيمة
كل جزء من كيان . فهذا لا يصلح أن يكون سبباً لمديح الذات ،
ولكن لتنفيذ الهدف السامي العظيم الذي من أجله وهبنا الله كل
هذه الأمور ، والواجب الملقى على عاتقنا وخوفاً من الإجابة التي
سنرد بها على السؤال : ماذا عمالنا في أنفسنا بأنفسنا ؟

حياتنا ووسائلها من يد الهنا

لننتقل الآن الى الكلام عن وسائل الحياة . يوجد فينا ثلاثة
أشكال من الحياة حياة الجسد وحياة النفس وحياة الروح ، وكل
منها تلاميذ وسائل خاصة لوجودها . وهذه الوسائل ميسرة
جميعاً ، وجميعها أيضاً هبات من الله وليست من صنعنا . الهواء ،
والنار ، والماء ، والأرض بكل كنوزها وعناصرها وأحجارها
ومعادنها ونباتها وحيواناتها التي تمدنا بكل ما نحتاج إليه من
ما كل وملبس ومأوى ، هي ليست من صنعنا ولكننا عطاياء
لنا من الله . كذلك كل المعرفة التي نحتاجها عن ما يحيط بنا ،
تنظيم حياتنا اليومية ونظم المجتمعات والحكومات ، الفنون
والعلم ، والقوانين التي في ظلمنا نعيش ، كل هذه كانت مجرة من
قبل . وليس لنا إلا أن تعلمها ونستخدمها . فكل انسان

أخذ تراث المعرفة عن أسلافه بدلاً من أن تمل الأذهان من
إختراع ما كان موجوداً . ولكن من أين أخذ الأسلاف تلك
المعرفة ؟ إنها من الله . فهو يرسل أشخاصاً لهم مواهب خاصة
وقوة إرادة بها يتوصلون إلى إكتشافات جديدة ويحدثون تقدماً
في الحياة البشرية . وأنت حين تسأل واحداً من هؤلاء المخترعين
كيف توصل لما إختراعه ؟ سيجيب : أنا لا أعرف ، لقد أتت
إلى ذهني كفكرة ، ثم تخمرت وأخذت شكلاً وهيئة . . وهكذا
في كل حالة ، وستظل كذلك إلى منتهى العالم . فوسائل حياة النفس
إذن ليست منا ، إنها عطية من الله لنا . وإن كان كذلك بالنسبة
للنفس فكم بالحرى تكون بالنسبة لحياتنا الروحية - الأخلاقية -
العقائدية .

معرفة الله ظاهرة ... لأن الله الظاهرها

لقد وضع الله معرفة عن ذاته في أذهان نفوسنا وفي
ضميرنا ... أهني معرفة إرادته ، وكل شخص مزود برجاء النعم
الأبدى الذي هو أصل حياة الروح وبذرتها تلك البذرة المباركة
للدفونة فينا التي قبلناها حين نفخ الله فينا من نسمة حياة نعمته
الإلهية . كل إنسان يولد وفيه ومعه هذه البذرة . أما مدى نمو
هذه البذرة فيتعين بالأشخاص المحيطين به . يا أعظم النعمة غير

الموصوفة حينما يولد الشخص بين أشخاص يتقنون القيادة إلى حياة روحية حقيقية ١ . ولكن أنظر حولك . إن لدينا معرفة عن الله الواحد الحق المعبود كشالوث ؛ ونحن نعتزف بأبن الله الذى تجسد من أجلنا ووهب كل الاشياء من أجل خلاصنا . ونحن نؤمن بالروح القدس المضى . فينما بنعمته التى نلناها فى سر المعمودية والميرون ، ومنشط الحياة الروحية فينا . كذلك نحن مغروسون فى كنيسة الله ونأخذ منها كل ما يلزم للعناية بحياتنا الروحية من أسرار مقدسة فى سر التوبة والاعتراف والتناول من جسد الرب ودمه . ولدينا الوحي بتوقع قيامة الأموات فى العالم الآتى . كل هذه فى أنقى وأطهر صورة . لم تكن واحدة من هذه جميعها منا بل كلها هبات من الله .

هكذا ترى غنى بالوسائل التى تحيط بك لتسير فى الحياة ، ربما تبدو لك انها طبيعية فى ملئها ، ولكن ولا واحدة من تلك الوسائل ثمرة لمحاولاتك بل كلها معطاة لك . انك مدعو لولية الحياة المعدة سابقاً . فإن كان لى ولك شئ من هذا القليل لنفتخر به ، فربما يكون كيفية إستخدامنا لهذه الوسائل جميعها . لاننا إن تناولناها بصورة كاملة نقتنى ثياب العرس الذى به نحضر الولية . فهل فى هذا مجد لنا ؟ أما يليق بنا بالآخرى أن نخاف

لئلا يأتي مضيف الوليمة الكريم ويقول لنا : إن هذه وليمة عظيمة ، ولكن أين ثيابك ؟ .

والآن دعنا ننظر عن قرب إلى هذا الثوب . إن ثوب النفس يتكون أصلاً من إحساسات تقوية فاضلة ومشاعر متعمقة فيه وليس في الأعمال وحدها . ولكن من حيث أن هذه الإحساسات والمشاعر خبأة في الداخل فنادراً ما تسبب حالات مجد باطل أو كبرياء ، أما الأعمال المنظورة فإنها تترافق أمام عيوننا . وحيث أنها إختيارية لذلك تولد في الفاعل شعور الأهمية الذاتية والرضى عن النفس . أما تأثيرهم الخارجى . فهو تحريك شهادة المديح من الآخرين على أعمال الإنسان وهذا يعمق شعور الأهمية الذاتية ويجعل الزهو والإعجاب بالنفس يتآصلان ... لذلك فلنفحص أعمالنا لنرى هل لنا أى شيء نقدر أن نفتخر به بلا منازع .

لماذا الافتخار إذن

لندكر أن غرنا فقط يكون عن الأشياء الناتجة من إرادتنا الشخصية مباشرة وتكون معمولة بنا وحدنا دون أن يشترك معنا فيها آخرون . ولكن أنظر كيف تأتي أعمالنا . ومن أين تبدأ ؟ إنها ظروف معينة تتكون وتتهيا وتقود إلى عمل أو إلى

آخر . أو فكرة تأتي للذهن لعمل شيء أو لعمل آخر . أما عن اتفاق الظروف فهذا لا يأتي منا ، وواضح أيضاً أن الفكر ليس منك شخصياً بل آخرون قالوا لك عنه وهذا لا يكون علة للمديح .. فافحص الآن كم من الأعمال تقوم بها من هذا النوع ؟ إذا فحسنا كل شيء خالص بضمير منبجده أن جميع أعمالنا تبدأ بهذه الطريقة . ولذلك ليس لدينا إطلاقاً ما يجعلنا نفتخر به .

اجتهد أن يكون مدحك من الله

إن كنا نمدح أنفسنا على شيء ما ، فإنما على بعض الأشياء التي عملناها . لأنه مهما كانت الإندفاعات الخارجية والداخلية لعمل شيء ما ، فالقرار بانجاز الفعل يتوقف دائماً على إرادتنا . ولكن ليس كل قرار لعمل شيء صالح دائماً صحيح . فالقرار يكون صحيحاً إن جاء متفقاً مع إرادة الله ونابهاً من طاعتنا لإرادته . ولكن بمجرد تقرير شيء لإرضاء النفس أو لإرضاء الآخرين سيكون هذا القرار غريباً وريئاً ومظالم . أحياناً نقرر القيام بعمل ما خوفاً مما سيقوله الناس عنا إن لم نعدله . وأحياناً نعمل متوقعين كسباً أو إرضاء معيناً إما في الحاضر أو في المستقبل . وأحياناً ببساطة نقرر بالعمل ليس لأننا نريده بل لأنه يجب أن نعمله . مثل هذه الأعمال لا تحسب أنها أعمال صالحة خالصة رغم

أنها مدروحة في مظهرها ولكن في داخلها أمام الله وأمام الضمير ليست كذلك . فلنفحص كم من الأعمال التي لنا من هذا النوع ؟
 مرة أخرى نضطر أن نقرر أن ليس لنا أيضاً ما يمكن أن نفتخر به .

هكذا ، بالفحص الدقيق نرى أن أعمالنا الصالحة لا تعطينا فرصة أن نفتح شفتي الافتخار أمام آخرين أو ندق لها طبل لا لأنفسنا في دواخلنا . أما أن تذكرنا كل الأعمال التي نستحق أن نلام عليها - الأعمال الباطلة ، الفارغة ، التي بلا فائدة ، والضارة والمخالفة للناموس ، المكروهة أمام الله ، والتي هي من صننا بالحقيقة . إذا تذكرنا أن هذه الأعمال غير مقبولة ، فإننا سنذكر أننا نحن أيضاً غير مستحقين للقبول !!

الفحص دواخلك أولاً

سأضيف شيئاً آخر : كل أعمالنا المعمولة علانية ، في البيت وفي العمل ، وفي المجتمع تكون مقياساً لسلوكنا . وإذا نظرنا حولنا لا يمكننا إلا أن نقول أن سلوكنا صحيح بوجه عام . ولا يمكننا لا نستطيع أن نؤكد أن وضعنا الداخلي صحيح كذلك . فإن عيون الناس الذين حولنا تؤثر في نمط سلوكنا تأثيراً كبيراً .

فالذين يشاهدونا يجبرونا أن لا نعطي فرصة للشر المضطرم في قلبنا
أن يظهر ، فنخفي الشر ونظهر بالسلوك الصحيح .

ولكن إما أن يختلف سلوكنا تماماً حين نتأكد أنه لا توجد
عيون أخرى ناظرة إلينا ... فيحدث لبعض الناس بمجرد تغيير
ظروفهم الخارجية ومعيشتهم بأكثر حرية ، إن كل ما كان
مكتوماً من قبل ينفجر كالبركان وينقلب الإنسان الذي كان
يسلك حسناً ويصبح سكيراً ، فاسقاً أو حتى لصاً . كل هذه
الدوافع الشريرة لم تكن نبت ساعتها بل كانت موجودة سابقاً
ولكنه كان يستنكر التعبير عنها . أما الآن وقد أطلق له العنان
بحرية ظهر على الملأ ... ولكن رغم خصيصية أن هذه الأمور
كونها مجرد شيء داخلي لم يكن ظاهراً إلا أنها في الواقع تغيير
مرتكب مثل هذه الأمور كلها سكيراً ، فاسقاً ولصاً - رغم أنه
قد يبدو من الخارج عكس ذلك . فتأمل جيداً في ذاتك فربما
أنت أيضاً تنطوي تحت هذه المجموعة من الناس . فإن كان الأمر
كذلك ولو بدرجة صغيرة فليس لك حق الإفتخار أو الارتكان
على المديح .

والنتيجة : أنك بمساعدة الإيضاحات المذكورة سابقاً
يمكنك البدء في عمل إحصاء دوري عن حيائك . فعندما يبدأ

العدو أن يدق الطبول في أذنيك قائلاً... كم أنت رجل صالح...
وبحاول أن يجد الإستجابة منك بأنشغالك في الزهر بنفسك
وتقدير ذاتك يصاب بخيبة أمل ويتردد في الحال بالإضغاع
المتزايد وأفكار تحقير الذات والشعور بمسكنة النفس . التي
يجدك منشغلاً بها عن سماع دقات طبوله ومعهول كلامه .



انتهى الجزء الثاني من الكتاب
وتتبعه أجزاء أخرى
فاحرص على اقتنائها لكي تجعلها في مجلد واحد